

د. فرج فودة

# نكون أو لا نكون





نكوه أو لانكوه



دكتور

فرج فودة

# نكون أو لانكون

---

دار ومطابع المستقبل  
بالضجالة والإسكندرية

جميع الحقوق محفوظة  
لورنة المؤلف

الخلاف للفنّان خلف طايح

الطبعة الأولى ..... ١٩٨٨

الطبعة الثانية ..... ٢٠٠٤

## مقدمة

هذه مجموعة من المقالات ، لكل مقال منها قصة . والقصة ضرورية أحيانا لفهم المقال ومعايشته . وأغلب هذه القصص لطيف، بينما أغلب المقالات عنيف . لأنها كتبت بأعصاب مشتعلة، وُحنت من الوجدان ، وصدق في مشاعرها إلى أقصى الحدود . وقد اكتشفت عنفها حين اجتمعت معاً ، وأندهشت لذلك كثيراً . لأنني في حياتي الخاصة ومع أصدقائي ، شديد الوداعة والطيبة ، على العكس تماماً من طبيعتي حين أشعر أن هناك ما يُهدد ذلك الذي أحيا من أجله ، وأستمد وجودي من وجوده ، وأدافع عنه حتى آخر نفس، وهو الوطن ..

الغريب أن ذلك القدر من العنف لم يكن اكتشافي الوحيد ، حين اجتمعت هذه المقالات أمامي لأول مرة . وإنما كان هناك اكتشاف آخر، هو أنني في هذه المرة ، أو بمعنى أدق في هذه المقالات ، لا أردد سهاماً ، ولا أصد هجوماً . بل أبادر وأبدأ وأشد ، على العكس من أغلب مقالاتي في كتابي السابق " حوار حول العلمانية " التي كانت رد فعل لهجوم الآخرين ..

ربما كان غريباً أن يتحدث الكاتب عن أنطباعاته بالنسبة لكتابه إلى القراء . لكن لا بأس ، فما أكثر ما خرجنا على المؤلف عامدين ، وما أكثر ما أصطدنا بالمؤلف مضطرين . ولا بأس أن أستطرد فأذكر للقاريء أنني عند مراجعتي للكتاب ، تذكرت أنطباعاتي منذ عشرين عاماً ، وأنا أقرأ المعارك الفكرية للرواد : علي عبد الرازق ، وطه حسين ، والعقاد ، وخالد محمد خالد ، وغيرهم . ووقتها كنت أندمض أحياناً ، وأنزعج أحياناً ، وأسعد دائماً ، وأتساءل باستمرار عن سبب عقم زماننا . وها أنذا أقارن بين معاركهم ومعاركنا ، وتتوارد إلى ذهني كتابات رواد التنوير في عصرنا : المستشار سعيد العشماوي ، والدكتور فؤاد زكريا ، والسفير حسين أمين ، والدكتورة نوال السعداوي ، والدكتور لويس عوض ، والدكتور صبحي منصور ، والدكتور عبد العظيم رمضان ، والأستاذ خليل عبد الكريم ، والدكتور سيد القمني ، والدكتور نور فرحات ، والأستاذ مكرم محمد أحمد ، والأستاذ أحمد بهاء الدين ، والأستاذ صلاح حافظ ، والأستاذ محمود السعدني ، والدكتور رفعت السعيد ، والشاعر أحمد عبد المعطي حجازي ، وأخيراً ما كتبه صاحب هذا القلم . وأجزم أن ما كتبه هؤلاء في السنوات الأخيرة ، هو أجراً ما كُتب في تاريخ اللغة العربية ، وأكثره وعياً وأستتارة ، والأهم من ذلك أكثره شجاعة ومقدرة ..

إن ما أسجله في هذا الكتاب شديد الأهمية في تقديري ، لأنه يعكس واقع المعارك الفكرية التي نعيشها . وهو سجل هام للأجيال



القادمة ، أكثر بكثير من أهميته لجيلنا . لأنه وثيقة شرف لجيل  
آبائهم . ولعلمهم لن يصدقوا أننا كتبناه ونحن غارقون في اتهامات  
التكفير ، ومحاطون بسيوف الإرهاب والتهديد . وبقينا سوف يكتب  
البعض من الأجيال القادمة ما هو أجراً ، وأكثر استنارة . لكنه سوف  
يصدر في مناخ آخر ، أكثر حرية وانطلاقاً وتفتحاً . ولعله من حقنا  
عليهم أن نذكرهم أنهم مدينون لنا بهذا المناخ . وسوف يكتشفون  
عندما يقلبون أوراقنا ونحن ذكرى ، أننا دفعنا الثمن ..

ويا أيها القاريء بعد زمان طويل ، اقرأ لنا ، وتعلم كيف يكون  
الإنسان موقفاً . وكيف نحسنا عصر تنوير جديد بأفلامنا . وكيف  
كانت الكلمات أقوى من الطلقات . وأفهم معنا ما فهمناه من حكمة الله  
العلي القدير ، حين شاء أن تكون أولى كلماته في الإنجيل " في البدء  
كانت الكلمة " ، وفي القرآن " اقرأ " ..

أيها القاريء بعد زمان طويل .. اقرأ ..

ف . ف



## وردة وخلق الأوراق

**قصة المقال:** كنت جالسا (في حالي) أمام التلفزيون، أمني نفسي بلبلة طيبة أشاهد فيها تنافسا رياضيا ممتعا على نهائي كأس أفريقيا لبطولة أندية كرة السلة ، بين الإتحاد السكندري ممثلا لمصر ، وناد آخر يمثل أنجولا . وفجأة رأيت (شيئا) يجري بين اللاعبين ، لا علاقة له بزيتهم أو مظهرهم . وفركت عيني لكي أتتحقق مما أرى . كان مدحت وردة كابتن الفريق المصري، وقد أطلق لحيته، وكحل عينيه ، ولبس لباسا طويلا لا علاقة له بالشورت لأنه أطول ، ولا بالبنطلون لأنه أقصر . وأدركت من مظهره وتعليقات المذيع ، أن الإسلام العظيم مقحم في الموضوع بلا مقتضى . وأن هناك من أوهم مدحت بأن فخذة ( عورة ) وأن واجبه أن يحمي الجمهور من (الفتنة) . وبعد وقتين إضافيين ، أنتصر الأتحاد ، ولم تدم سعادتني أكثر من لحظات قصار ، أفسدها مدحت بعد ذلك حين تقدم لاستلام الكأس ، فرفض رفعه إلى أعلى ، ورفع المصحف بديلا عنه ، بينما المذيع يصرخ : لا إله إلا الله ، الله أكبر . وهكذا تحولت ساحة الرياضة إلى ساحة تعصب مقبوت ، وانتظرت في صحف الأيام التالية أن أجد لوما أو اعتراضا أو أمتعاضا ، فإذا بها جميعا تتجاهل أو تؤيد . فكان هذا المقال الذي نشره المصور ..

## المقال : وردة وخط الأوراق •

معظم النار من مستصغر الشرر كما يقولون ، وكثير من الظواهر التي نشهدها وننكرها اليوم ، بدأت بتصرفات فردية محدودة . أهملناها فنمت . وهون البعض من شأنها فزانت . وزايد البعض عليها فانتشرت . ومن هذا المنطلق اخترت أن أعلق على زي مدحت وردة في بطولة أفريقيا لأندية السلة . وأحترت في وصف الجزء الأسفل من الزي ، فلا هو ( شورت ) لأنه ينسدل إلى أسفل الركبتين ، ولا هو ( بنطلون ) لأنه يعلو كثيراً عن الكعبين ، والألق إلى أن نجد تسمية ملائمة ، أن نسميه ( بين بين ) . غير أن ذلك قد يُغضب بعض الكتاب ، مثل الأستاذ أحمد بهجت الذي أسماه زياً رياضياً إسلامياً ، وأعتبره نموذجاً للزي النابع من تراثنا وديننا . أما كونه زياً رياضياً ، فأمر ينكره العرف . وأما كونه زياً إسلامياً ، فأمر لا سند له في الفقه الإسلامي كما سُئِبت . اللهم إلا إذا كان منهج الإسلام هو العسر حين نملك اليسر ، والتضييق والتشدد حيث توجد الإباحة ، بل حيث تجدر الإباحة .

ربما تامل البعض بعد هذه المقدمة ، وربما تصوروا أنني أعترض لمجرد الاعتراض ، وأنقد ما يستوجب الإشادة . غير أنني أدعوهم إلى تأجيل الأحكام إلى نهاية المقال . وإلى الإقبال بقلب مؤمن وعقل مفتوح ، على ما أسوقه إليهم من حجج تستند إلى

• نشر في مجلة المصور ، بتاريخ ٣ يوليو ١٩٨٧ .

## المنطق والعرف والفقہ .

أما المنطق فأحسب أنه يدعونا إلى تساؤل ، عن الفرق الرياضية في المملكة العربية السعودية ، التي لا يجرؤ نظام الحكم فيها على المخالفة العلنية لنص شرعي أو فقه مُجمع عليه . بيد أنه يسمح للاعب كرة القدم وغيرهم بارتداء الشورت القصير دون حرج أو إنكار . وبديهى أن هذه القضية قد قُتلت لديهم بحثاً ، وأنهم وجدوا ما يستندون إليه في القبول ، أو لم يجدوا ما يستندون إليه في الرفض . ولعلنا ونحن مازلنا خارج ساحة الفقه ، نرى أن الفرق بين الشورت المتعارف عليه، والبيّن بين الذي يرتديه وردة ، ينحصر فيما يكشف عنه الأول ، ويحجبه الأخير ، وما يُطلق عليه لغوياً أسم الفخذ ( وهو ما يصل بين الساق والورك - راجع لسان العرب ص ٣٣٦١ - طبعة دار المعارف ) . وأن البعض يرى أنه عورة ، وأنه على ذلك أجمع السلف الصالح (وسوف نرى أن ذلك ليس صحيحاً) . ولو جاريناهم في تصورهم ، لوجب علينا أن نُنبههم إلى أن التحريم لا بد وأن يرتبط بسبب . ولعلمهم يردون علينا بأن السبب كامن فيما يُثيره الفخذ من فتنة ، وما يدفع إليه من إثارة . وهو أمر لو صح في عهد السلف ، فإنه لا يصح في عصرنا ، حيث لا نرى ما رآه السلف الأول . وحيث يكر اللاعبون ويفرون ، دون أن ينبض لنا عرق ، أو يهش لنا فؤاد ، أو يفكه لنا قلب ، أو تتدغدغ لنا روح . ولا نحسب أن أحداً مدح لاعباً بسمنة فخذة ، أو عيّرهُ بنحولها . ولا نعتقد أن أحداً يُمكنه أن يدعي أن اللاعب يكوينا بسهام الهوى إن كر ، أو يُدمينا

بنار الجوى إن فر . وحتى لو إستدل البعض بأدلة ( سوف نرى مدى ضعفها ) ، على أن ذلك سنة، فلنا أن نحمل ذلك على محمل السنة في أمر الزي والعلاج . حيث يرى أغلب الفقهاء أن الرسول كان يتأسى فيهما بعصره ، وأن ذلك لا يلزم من يأتي بعده في عصر غير العصر ، وزمان غير الزمان ..

هذا عن المنطق ، فماذا عن العرف ؟.

أحسب أن العرف الدولي قد أستقر على زي موحد ، وأننا لا يمكن أن نعزل أنفسنا عن اللقاءات الرياضية الدولية . وأنه ليس منطقياً ، وليس مقبولاً ، أن يلعب الجميع بالشورت ، ونلعب نحن بالبين بين . أو أن تصبح مبارياتنا مع الفرق الأجنبية ساحة لعرض أزيائنا الغريبة ، ومعرضاً لتساؤل المتفرجين عن ذلك الذي نخفيه . ولوردنا عليهم بخشية الإشارة ، أو خوف الفتنة ، لظنوا الظنون بجمهورنا الطيب ، وتصوروا أن اللاعبين يحتمون بهذا الزي من نظرات الجمهور الجريء ، بينما جمهورنا بريء ، وبينما الأمر كله أمر فتوى لا تقف على قدمين ، ولا يساندها إجماع أو ترجيح .

ولا يبقى إلا الفقه ، وهو الفيصل والحكم ، خاصة وأن أنصار الزي الجديد يستندون إليه ويحتمون خلفه . ولعلمهم يتصورون أنني حاولت فيما سبق ، أن أتف حول قاعدة إسلامية . وأنتي أتلفت في حديثي عن المنطق والعرف ، ذات اليمين وذات اليسار ، باحثاً عن مخرج فلا أجد . ولعلمهم يرددون بينهم وبين أنفسهم : قل ما شئت ، وأستنتج وأستتبط كما تريد ، وأرتع في ساحة القياس كما ترى ،

فردنا عليك سير ، وموقفك صعب وعسير . لأنك لن تستطيع الهروب من نص ، ولن يُمكنك الإفلات من قاعدة شرعية ، ولن تملص من إجماع الفقهاء . ولعلي شديد الأسف إذا خيبت ظنهم ، وشديد الحزن إذا ذكرت لهم أنهم لم يرجعوا إلى كتب الفقه قبل الإفتاء . وأن ما يُجمعون عليه مختلف فيه ، وأن سندهم في دعواهم أضعف من سند من يعترضون عليهم . ولو رجعوا إلى أكثر كتب الفقه أنتشاراً، ولعله أيسرها ، وهو كتاب " فقه السنة " للشيخ سيد سابق ( ص ١٢٥ - جزء ١ - دار الكتاب العربي ) ، لوجدوا أن "عورة الرجل هي القبل والذبر . أما ما عدهما من الفخذ والسرة والركبة، فقد اختلفت فيها الأنظار تبعاً لتعارض الآثار . فمن قائل أنها " ليست من ذاهب إلى أنها عورة " . ولعلي أشير هنا إلى أن تلك القاعدة، خاصة بستر العورة عند الصلاة . بينما يختلف الأمر في الرياضة ، وتتسع مساحة السماحة وإمكانية الترخيص . بيد أننا لن نتوسع في التفسير أو القياس ، وسوف نريح المعترضين علينا بالأخذ بأقصى درجات التشدد ، وسوف نسلم معهم بأن ما هو عورة في الصلاة عورة في غيرها ، وسوف نحتكم وإياهم إلى كتاب فقه السنة ، حيث ورد فيه تحت عنوان "حجة من يرى أنها ليست عورة" أربعة أحاديث ، أوضحها وأقواها سندا عن أنس : " أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر ، حسر الإزار عن فخذيه ، حتى أنني لأنظر إلى بياض فخذيه " رواه أحمد والبخاري . ثم ورد بعد ذلك تحت عنوان "حجة من يرى أنها عورة" حديثان متشابهان . أوضحهما وأقواهما سندا عن جرهد قال : " مر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي برده وقد أنكشفت فخذيه ، فقال : غط فخذيك فإن الفخذ عورة " . رواه مالك

وأحمد وأبو داود والترمذي . وقد ذكر الشيخ سيد سابق أن البخاري قد قارن بين حديث أنس ( ليست عورة) وبين حديث جرهد ( هي عورة ) فقال: حديث أنس أسند ، وحديث جرهد أحوط . أي حديث أنس المتقدم أصح إسناداً .

هنا يبدو الأمر واضحاً كل الوضوح ، أربعة أحاديث تنفي أنها عورة ، مقابل حديثين يريانها عورة . وأشهر أسانيد أنها غير عورة حديث أنس ، وقد ورد في أحد الصحيحين . وأشهر أسانيد أنها عورة حديث جرهد ، ولم يرد في أحدهما . والبخاري يكفيها مؤونة الموازنة بين الحديثين ، فيحكم أن حديث أنس أصح إسناداً . ولو لم يفعل البخاري ، لوجدنا في الاختلاف رخصة . لكنه فعل . ودفعنا إلى طرح حجتنا بمنطق المتشددين ، وإلى المطالبة بالالتزام بما يلتزم به الأصوليون . وهو الأخذ بالسند الأصح إن اختلفت الرواية .

ولوردة بعد هذا أن يتشدد أو يتحوط ، لكن ليس لأحد أن يتشدد بمقولة الزي الرياضي الإسلامي ، أو يزايد على ذلك البين بين . مصوراً لنا ، أو متصوراً ، أن هذا هو النموذج ، وأن غيره رجس وضلال .

ولعل القاريء يسمح لي الآن ، أن أصارحه بما تخرجت من نكره في بداية المقال . وهو أنني أبتسمت اليوم التالي ، لأن الصحف لم تنشر هذه الصورة ، ولم تركز عليها . وقد عزت جريدة الشعب ذلك إلى أن هذا الأمر لم يُعجب المسؤولين في البلد المسلم . ولعلي أحيي المسؤولين إذا كانوا قد فعلوا ذلك عن قصد ، وهو ما لا أعتقده .



لأن تصرف وردة ، مع كل حسن النوايا . يحمل خطأ غير مقصود ،  
ويؤحي بمعنى غير صحيح . مضمونه أن أنتصار الاتحاد السكندري ،  
أنتصار للإسلام . وهو معنى لو سلمنا به ، لوجب علينا أن نُسلم في  
المقابل بأن هزيمة الاتحاد السكندري هزيمة للإسلام . وهو ما  
نرفضه ونأباه . ليس ذلك فحسب ، بل علينا أن نطرح تساؤلاً آخر ،  
خاصة وأن نتيجة المباراة ظلت معلقة حتى الدقيقة الأخيرة من  
الوقت الإضافي : ماذا لم فاز الأنجوليون ، ورفع رئيس فريقهم  
الكتاب المقدس بدلاً من الكأس ؟ . أجزم بأن أقلامنا كانت ستنتقدهم أشد  
الانتقاد ، وستنكرهم بأنها مباراة رياضية ، وليست حرباً دينية .  
وأنهم فازوا بالجهد ، وليس بالكتاب المقدس . وأنتصروا بإجادة فنون  
كرة السلة ، وليس بقرءة المزامير . وأنهم خلطوا الأوراق عن قصد ،  
وحاولوا إشعال فتنة دينية عن عمد ، وحولوا ساحة الرياضة  
المتسامحة إلى ساحة للتعصب المقيت . وأنهم مُبشرون يتخفون في  
زي كرة السلة . وربما طالب كُتائبنا وزارة الخارجية بالاحتجاج لدى  
حكومة أنجولا كثيراً عند رؤية وردة الأنجولي في زيه الغريب .

فأبتسامي لم يكن أبتسام سخرية ، حاشا لله ، بل أبتسام تعجب ممن  
يُغلقون على أنفسهم أبواباً مفتوحة . ويلجأون إلى الضيق وأمامهم  
الفرج ، وإلى التضيق وأمامهم التسامح ، ويتعسفون في ذلك أشد  
التعسف ، ويتزيدون غاية التزيد . بينما الأمر لا يحتمل تعسفاً أو  
تزيداً .

ولو اقتصر الأمر على حديث البين بين ، لما أستحق مني  
التعليق ، ولأدرجته ضمن الحرية الشخصية لوردة ، ولأحتسبته

تخوفاً منه علينا من فتنة يراها ولا يراها . وهو خوف نحمده له في كل حال لكن تصرفاً حدث منه في نهاية المباراة لثار في نفسي عديداً من التساؤلات ، إذ تقدم وردة ليتسلم كأس البطولة ، وانتظر الجمهور منه أن يرفع الكأس ، فإذا به يرفع المصحف . ومر الأمر بساطة ويسر . وتداول اللاعبون والجمهور كأس البطولة في فرحة غامرة . لكن جريدة الشعب التي يُصدرها حزب العمل ، لم تترك الأمر يمر بهذه البساطة ، خاصة وأن حزب العمل مرتبط بالتحالف الإسلامي . فأعدت نشر صورة وردة وهو يرفع المصحف ، وكتبت عنواناً بالخط العريض نصه " رفع المصحف بدلاً من الكأس ، فحججوا صوته " وأنهالت تحت العنوان باللائمة والنقد على الصحف الأخرى على هذا التصرف المثير . بل ربما واجه رجال الأمن موقفاً عصيباً ، إذا حاولوا حماية الفريق المنافس من غضب الجمهور الثائر أمام تصرف مستفز .

أحسب أن ما ذكرته كافٍ ، بلا تعليق ، للرد على من يرون للحقيقة وجهاً واحداً يُعجبهم ، وينسون أن لها وجهين . وحسبي أن أؤكد أن روح الإسلام تؤيد ما فعلناه ، وما أنتصرنا به ، وهو الجهد والعرق والتدريب . وأنه لا يُغني عن ذلك رفع المصاحف . لأن المصحف ليس شعاراً للتلويح ، وإنما معنى للتدبير . وليصدقني وردة إذا ذكرت له أنني معجب به كل الإعجاب ، كلاعب وليس كواعظ . وك رئيس للفريق وليس كإمام له . وكرياضي كفاء وليس كداعية ديني . لا لشيء إلا لأنه قدم نفسه إلينا في الملعب ، ليس في المحراب . وأمتعنا بالعبابه وليس بمواعظه . ولعلي في النهاية مضطر

إلى دعوة صحيفة الشعب وغيرها إلى التروي في إطلاق الأحكام ،  
وإلى التمهّل في إبداء الإعجاب ، وإلى التحرز عند النحوب باللائمة .  
ويا وردة ، جزاك الله كل خير على نواياك . وألف مبروك على  
جهدك الرائع ، وجهد زملائك العظيم . وألف تحية لجمهور الأتحاد  
الأصيل . وتهنئة من القلب لمصر ، ولكل المصريين .

## لشيخ الأزهر أن يحمد الله

**قصة المقال :** لا اعتقد أنني كتبت مقالا أعنف من هذا المقال . ولا اعتقد أن مشيخة الأزهر في تاريخها، قد تلقت نقداً أعنف من هذا النقد . وما تصورت يوماً أن أتجادل مع رجال الأزهر أو مع شيخه في أمر من الأمور . ذلك لأنني رجل سياسة وفكر، وهم رجال دين وعقيدة . ومذهبي أن أفصل بين الساحتين حفاظاً عليهما معاً . بيد أن معركة فكرية ثارت بين الأستاذ فهمي هويدي والمستشار سعيد العشماوي حول كتاب الأخير " الإسلام السياسي " ، أحتد فيها الأستاذ هويدي، وتجاوز بصورة لم نعهدها عنه . وهذا فيها وأعتدل المستشار العشماوي بصورة نعرفها عنه . وبينما الجدل مُحتدماً، والحوار دائراً ، إذا بالأستاذ هويدي ينشر رسالة مفتوحة من شيخ الأزهر ( الشيخ جاد الحق ) يوجهها إليه، ويشد فيها على يديه، ويتهم فيها الفريق الآخر ( الذي أنتمي إليه بالطبع ) ، بالعداء للإسلام ، وبالعمالة للقوى المعادية للإسلام ( كذا ) . ويتساءل عن يسلطهم على الإسلام ( كذا ) .

وهكذا دخل الرجل ساحة السياسة بقديمه ( أقصد بمقاله ) . وأمتطى حساماً يُبارز به منتصراً لفريق ، وطاعنا لفريق . ولو

أستقر في موقعه ، لأحاطه الفريقان بالتكريم والإجلال . ولو بقي في ساحته، ما أصابه رذاذ المعركة . لكنه أنتقل إلينا ، فالتفتنا إليه . وطعن فينا ، فرددنا عليه . وأتهمنا أسوأ الأتهامات بلا دليل ، فكان هذا المقال الذي نشرته جريدة الأهالي .

### • **المقال** : لشيخ الأزهر أن يحمد الله

لشيخ الأزهر أن يحمد الله كثيراً على أن الشريعة ليست مُطبّقة في مصر، لأنها لو طُبقت لاستحق أن يُجلد تعزيراً بتهمة القذف . وأغلب الظن أن ذلك كان سيحدث على ملاً . وأن جسده الرهيف كان سيعجز عن تحمل قسوة الجلاد . فلجسد الإنساني أحكام ، وشتان بين الجسد الذي ذاق حلاوة السمن البلدي ، وطرارة الزبد الهولندي . وبين جسد عمر بن الخطاب الذي أسودّ جلده من أكل خبز الشعير بالزيت ، أو أجساد من كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . أما جريمة شيخ الأزهر - وهي في شرع الإسلام جريمة بكل المقاييس - فهي قذف بعض خيار المسلمين في خطابه للأستاذ هويدي ، ونعتهم بالخروج على الإسلام ، وبالعمالة للقوى المعادية للإسلام . وهي تهمة لا يملك عليها دليلاً . بيد أنها دليل على أنه يستقي معلوماته - كما يستقي العامة - من الصحف السيارة ، أو من بعض من يصورون له أن لأقواله المُرسلة أصلاً دينياً أو تأصيلاً فقهياً .

---

\* نشر بجريدة الأهالي ( ٢٣ مارس ١٩٨٨ ) رداً على خطاب شيخ الأزهر المنشور في الأهرام ( ١٦ فبراير ١٩٨٨ ) - راجع ملحق رقم ١ .

لشيخ الأزهر أن يحمد الله أيضاً لأن أحداً لم يتعرض له ، ولم يسأله عن موقع منصبه من صحيح الدين . ذلك الدين القيم ، الذي لا يعرف كهنوتاً ، ولا يُوسَطُ أحداً بين الله وعباده . ولا يُفسح مساحةً لرجال الدين . وإنما المساحة فيه واسعة للموعظة بالحسنى . تلك التي لم نجد لها في خطابه تأصيلاً . وللعلم قبل الفتوى . ذلك الذي لم نجد عليه في خطابه دليلاً . ولعله سوف يرد علينا بأننا في هجومنا عليه نهاجم الإسلام ، وهو رد نرفضه من البدء . فالإسلام أعز من أي كائن من كان ، وليس في الإسلام قدسية لأحد ، وبعد عهد الرسول لا عصمة لأحد . إلا إذا كان يتصور أنه ظل الله في أرضه ، أو أنه الإمام المعصوم ، أو المهدي المنتظر . وهنا نقول له خفف الوطء ، فإنك لن تخرق الأرض ، ولن تبلغ الجبال طولا . وأقصد في هجومك ، وتذكر قول أبي حنيفة حين سأله تلميذه : تُرى هل ما ذكرت هو الصواب الذي لا يأتيه الخطأ ؟ . فأجابه والله لا أدري ، لعله الخطأ الذي لا يأتيه الصواب .

آية القول السابق أن أبا حنيفة كان يفهم الإسلام كما يجب أن نفهم أنت الإسلام .. وشتان بين المتواضع الخائف ، وبين المتعالي القائف . وشتان بين من رفض المناصب الدنيوية جميعاً وعاش من دخل تجارته ، وبين ما نراه عليك من نعمة ونعيم ، وتمجيد وتعظيم . وما ضرنا لو زادت المناصب منصباً ، وما ضرنا أن يعلو بك البروتوكول فوق رؤوسنا ورؤوس المسلمين ، وما ضرنا أن تسكن في قصر منيف ، وما ضرنا أن تحصل على مرتبك من أموال دولة

المسلمين؟. تلك التي تتعتها بأنها ربوية . وتصف بعض مصادر دخلها بأنها أئمة، لأنها تأتي من المشروبات الروحية . وما ضرنا أن نسمعك تقرأ في المناسبات الدينية خطباً مكتوبة يملأها نطقك بالأخطاء النحوية؟. ما ضرنا هذا كله ، لكن الضرر كل الضرر ، أن نتصور أنك يمكنك أن تُخيف . وأن بمقدورك أن تمنع كتاباً هنا أو تصدر رأياً هناك . وأن تتخيل أن بيدك مفاتيح خزائن الدين . وأن في جعبتك صكوك الغفران ، توزعها كما تشاء . فتغفر لمن تشاء . وتكفر من تشاء . وتُعز من تشاء ، وتُذل من تشاء . وحاشا لله أن يبلغ بك الظن هذا المبلغ من سوء . وحاشا للإسلام أن يصل فهم البعض له إلى هذا الدرك . وليس لك، ولن يكون، أن تتصور للحظة واحدة أنك وحدك حامي حمى العقيدة، والمدافع عن صحيح الإسلام . لأننا جميعاً مسلمون ، وكلنا عن العقيدة مدافعون . ورفضنا لتصوراتك جزء من هذا الدفاع ، ورفضنا لأتهاماتك إسلام في إسلام. ذلك أننا نفهم الإسلام على أنه دين العقل، وليس دين الجمود والنقل . ودين السماحة ، وليس دين التطرف . وما كانت محنة المسلمين إلا لأنهم أسلموا قيادهم لمن يفتون بحكم أكل الطين الأرمني، وراشف بزاق الصديق<sup>(١)</sup> . وحكم معاشرة الجان ، وحكم من كان لقضيبه فرعان ، وأتى امرأة من قبلها ودبرها في أن . وهل يغتسل غسلاً واحداً أم غسلين ( فتوى الفقيه البجاوي ) .

---

(١) فتوى شهيرة لمفتي الديار المصرية السابق المرحوم الشيخ عبد اللطيف حمزة عن مفصلات الصوم (١٩٨٥) .

الإسلام يا شيخ الأزهر بخير طالما دافع عنه من يدافع ، لقاء  
 إيمانه وليس مقابل مرتبه . ولو جه الله ، وليس لوجه السلطة أو المال  
 أو المنصب . وأزهى عصور الإسلام لم تعرف شيخاً للأزهر أو  
 لغير الأزهر . وإنما عرفت من عاش بكديده ، وتعلم من أجل العلم ،  
 وأفتى من أجل العقيدة ، وناصر حرية الاجتهاد ، ودافع عن حق  
 المجتهدين في الفتوى . ولم يُنكر عليهم ، أو يتهمهم بالكفر ، أو زيغ  
 العقيدة أو العمالة . ولقد كان واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد يفتيان  
 بعدم قبول شهادة علي بن أبي طالب والزيبر بن العوام وطلحة بن  
 عبيد الله في حزمة من بقل . ولم يكفرهما أحد . ولم يشد على يد  
 المختلفين معهما أحد . ولم يتهمهما بالعمالة أحد . أو يرسل لمن  
 يتهمهما داعياً له بسلامة يمينه .

أحمد الله يا شيخ الأزهر على العيش الهنيء ، والطعام المريء .  
 وأذكره وأشكره كثيراً على تخلف المسلمين . لأنه الحافظ لمنصبك .  
 ولا تتخيل للحظة واحدة أن أحداً سوف يسمح لك برئاسة محاكم  
 التفتيش ، وبالاتهام والقمع ، وبالتهديد والمنع . وأصمت نصمت .  
 وكف نكف . لأنك إن عدت عدنا . وإن قلت زدنا . وقرأ عافاك الله  
 قبل أن تكتب ، فلعلك إن قرأت يفتح الله عليك باباً من أبواب العلم  
 والاجتهاد . حفظك الله ورعاك ، وأدام نعمته عليك ، وأوسع على  
 المسلمين كما أوسع عليك ، ورزقهم كما رزقك ، ونعمهم كما نعمك ،  
 وعافاهم كما عافاك . أنه سميع مجيب الدعاء .



## أبشر ببطول سلامة يا برتا

**قصة المقال :** أسوأ ما يحدث لجيل جديد لم يعاصر بعض الأحداث باليقين ، ولم يقرأ عنها غالباً ، أن تزيف أمامه الحقائق ، وأن يلبس القنلة مسوح الأبرار ، وأن يتستر أصحاب الطموح السياسي وراء رايات الدين ، وأن يرفع أنصار الردة الحضارية من الشعارات ما يخدع الآخرين ، وما يضعك في مأزق . فكيف ترد على من يرفع شعار " الرسول زعيمنا " وأنت تعلم أنه يخفى في سرواله خنجراً ؟ . وكيف ترد على من يُعلن أن " القرآن دستورنا " رغم أنك متيقن من أنه يُعد انقلاباً ؟ . وكف تواجه من يدعى أن " الموت في سبيل الله أحلى أمانينا " ، رغم أنك تعلم أنه يقصد موتك وموت كل أنصار الدولة المدنية والوحدة الوطنية ؟ . وقد تصاعدت هذه الشعارات في الحملة الانتخابية الأخيرة ، التي شاركت فيها . وأرتفع معها شعار جديد هو " الإسلام هو الحل " ، وهو شعار يعني أنهم يطرحون أنفسهم على أنهم حماة الإسلام وممثلوه . وللأسف الشديد ، فقد أرتبك الجميع أمام الشعار . وخشى الكثيرون أن يتصدوا له أولهم . وانضم إليهم حزبان في تحالف أسود ، تراجع أمامه الجميع . وأنهالت أموال بعض شركات

توظيف الأموال، تساندهم في حملتهم . وكان لابد من رد ، فكان هذا المقال الذي نشرته مجلة المصور .

### المقال : أبشر بطول سلامة يابرتا •

أما " البرتا " فهي نوع من المسدسات ، يُفضل الإخوان المسلمون استخدامه في حوادث الأعتيال . وأما البشري فقد زفتها لنا صحيفة حزب العمل ، حين أعلنت علينا ما أسمته " التحالف التاريخي " بين العمل والإخوان والأحرار . وهو تحالف تاريخي في تقديري ، لأنه سوف يدخل بأصحابه في ذمة التاريخ غير مأسوف عليهم . وسوف يكون مدخلا إلى إتهيار أوهام كثيرة ، وأقوال أثرية ، لدى أصحابه ولدى غيرهم .

### الوهم الأول : الودعاء المسالمون

أما الوهم الأول فهو أن الإخوان المسلمين أبرياء مسالمون ، وودعاء صابرون على العنف، مواجهون (بفتح الجيم) من أعدائهم بالعنف والتصفية الجسدية ، ومواجهون (بكسر الجيم) لأعدائهم بالإبتسام والدعاء بالهداية . وهي كلها مقولات تتجاوز عدم الدقة إلى عدم الصحة . ودليلي لا أسوقه من منطلق الخلاف الفكري ، وهو وارد وقائم وأصيل . وإنما أسوقه على لسان قانتهم . فصالح أبو رقيق قد أعترف في "آخر ساعة" بأنهم كانوا وراء أعتيال النقراشي

---

• نشر في مجلة المصور ( إبريل ١٩٨٧ ) .

بعد طول إنكار<sup>(١)</sup>. وحامد أبو النصر كتب في مذكراته المنشورة في " الأحرار " عن لقائه الأول بحسن البنا، الذي لمعت عيناه حين أخرج أبو النصر مسدسه، وحين ذكر أنه السبيل الوحيد. ثم كيف بايعه البنا على المصحف والمسدس . والمبايعة على المصحف مفهومة ، أما المبايعة على المسدس فلا معنى لها في الدين ، ولا منطلق لها في السياسة، ولا وجود لها إلا في عصابات المافيا وجماعات الإخوان .

لكنه هكذا كان ، وهكذا يكون . فالبيعة في الأعناق ، والخواتيم من جنس البدايات . والرحى إن دارت يمينا بتلاوة القرآن ، وذكر الرحمن ، فلا بد لها - وفاء للبيعة - أن تدور يساراً بإطلاق البرتا وتجهيز قنابل الدخان . ولأن الجراء دائماً من جنس العمل ، فقد حصد الرصاص فيما حصد حسن البنا نفسه ، بعد اغتيال النقراشي والقاضي الخازندار - وتفجير القنابل في أحياء اليهود ومحلاتهم ، ومحاولة نسف محكمة الأستئناف ، ومحاولات اغتيال إبراهيم عبد الهادي المتكررة . ثم تولت المشانق الرد ، بعد محاولة اغتيال عبد الناصر في المنشية . واستمر الإخوان ومن دار في فلهم أن يكتبوا سطرأ وأن يتركوا سطرأ أو سطين ، عن إيمان بأن كل شيء في

---

(١) العدد ٢٦٩٤ من آخر ساعة (١١ يونيو ١٩٨٦) حيث صرح صالح أبو رقيق بما يلي :  
(نحن لم نقتل سوى النقراشي لأنه خان القضية الوطنية (٢) والمستشار الخازندار)  
وللقريء أن يقرن هذا بفكر حسن البنا لذلك في مقاله الشهير (ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين) .

مصر يُنسى بعد حين . فالحديث مكرر ومعاد ، عن اغتيال "الإمام الشهيد حسن البنا" ، ولا حديث عن اغتيال "الزعيم الوطني الشهيد محمود فهمي النقراشي" ، أو "القاضي الشريف الشهيد الخازندار" . والأحاديث شتى عن بطولات الإخوان في فلسطين ، ولو صدق ما يدعون ، لتحررت فلسطين ، وعشر دول مثل فلسطين . لكنه السطر المكتوب ، أما السطر المنسي فهو أنها كانت فرصة لجمع الأسلحة ، وتدريب كتائب التنظيم السري ، وتجنيد بعض الضباط ، وأختبار بعض النظريات العسكرية ، من نوع ما نُقل إلينا عن الشيخ سيد سابق ، حين أفتى مستخلصاً من غزوة بدر ، ما مضمونه أن يتراص الإخوان في شكل قلب وميمنة وميسرة \* . وأن تتراص صفوف القلب صفاً بعد صف ، بحيث إذا سقط الصف الأول تقدم الصف الثاني . متجاهلاً اختلاف المكان والزمان والقضية والعصر ، وهو ما أنتهى بمصرع الصفوف صفاً بعد صف ، تأكيداً لعبقرية الشيخ سابق العسكرية ، بعد أن بات ليلته السابقة يراجع أسلوب توزيع الغنائم والسببي في سورة الأنفال . ودونك حديثهم عن انسحاب حسن البنا من الترشيح في الانتخابات ، بعد تهديد النحاس له بمحاربته (سياسياً) . وتجاهلهم الكامل لسقوط حسن البنا في دائرته ومسقط رأسه (الإسماعيلية) أمام

---

\* تتبع الجماعات الإسلامية في جامعة أسيوط نفس (التكتيك العسكري) في هجومها على الزملاء والزميلات من أنصار النشاط الاجتماعي والإختلاط ، مع تعديل بسيط يتمثل في استبدال البنادق بالخنجر والجنزير .

الدكتور سليمان عيد في انتخابات يناير ١٩٤٥ ، التي قاطعها الوفد ،  
ظناً منه أن الساحة قد خلت له ، وهمت به وهم بها ، لولا أن رأى  
برهان شعبه . ويستطيع القاريء أن يطبق ما قيل عن فلسطين على  
ما قيل عن معارك القناة . وما قيل عن أنهم أصحاب ثورة ٢٣ يوليو  
وحماتها ، لولا " غدر " عبد الناصر . والله يعلم وهم يعلمون ، أنهم كانوا  
وسيلة في يد عبد الناصر للقضاء على الوفد . وقد ساهموا في ذلك  
بقدر ما ساهم آخرون ، يحضرنى منهم سليمان حافظ وفتحي رضوان .  
وعندما أنتهى نورهم المرسوم ، واجهوا قدرهم المحتوم ، بنفس  
منطقهم الغشوم . وهو منطق التصفية الجسدية ، حين حاولوا قتل  
الرئيس في المنشية ، ففشلوا وقتلهم هو ، جزاءً وفاقاً على منصة  
الإعدام . وهو ما يُطلق عليه في أمثلة العرب " الجزاء من جنس  
العمل " ، وما يطلق على شبيهه في الكرة أسم " التعادل الإيجابي " .

#### الوهم الثاني : الإمام الشهيد

أين هم الإخوان الآن ؟ . هذا هو السؤال . والإجابة أنهم موجودون  
بعون الله في الصحافة القومية . نعم ، الصحافة القومية ، تلك التي  
قضت الشهور تتحدث عن وفاة المرشد السابق ، وتوقعات المرشد  
الجديد . وتكهنات الترشيح ، واختلافات المرشحين . ورأى فلان ،  
وقول علان . ثم أخيراً اختيار المرشد المفاجأة . بينما لو تجاهلت

الأمر، لما علم المصريون حتى الآن أن هناك مرشداً عاماً أو مكتب إرشاد. ولأضطر المرشد الجديد إلى الدوران على أصحابه وخلانته، مسراً لكل منهم في أذنه : أنا المرشد الجديد . ولعله كان سيستمع في كل مرة إلى نفس الإجابة: أعطني ( أمانة ) . أو قل كلاماً آخر يارجل . لكنه الوهم الذي بثته الصحف والمجلات القومية ، وهي تتصور أنها تتسابق في إحراز أنتصارات صحفية ، موهمة قراء العربية في كل أقطارها ، أن شاغل المصريين الأساسي هو الإخوان . وأن مهمهم هو اختيار مرشدهم . وأن المصريين لن يستريح لهم بال ، ولن يهدأ لهم قرار ، إلا إذا اطمأنوا على اختيار المرشد الجديد .

ولعلي أذكر القراء أيضاً بما نشرته "الأخبار" في صفحة كاملة ، عن ذكرى ما أسمته " الإمام الشهيد حسن البنا " \* أما كونه إماماً فمسألة فيها نظر . وأما كونه توفي شهيداً ، أو قتل قصاصاً ، فعلمه عند ربي . ولعلي أقرب إلى الاقتناع بأنه قُتل قصاصاً لقتل النفراشي ، خاصة أن شبهة قتله مُعلقة برقبة فاروق ، وهو ولي الأمر بمنطقهم . لكن الأمر المؤكد أن حسن البنا كان زعيماً سياسياً ، قبل أن يكون إماماً دينياً . وأن حسن البنا شيء ، والشيخ شلتوت مثلاً شيء آخر . فالأول رجل سياسة بلا شبهة ، والثاني إمام دين بلا مرأى . ومن هنا

---

\* حدث ذلك في الصفحة الدينية في جريدة الأخبار خلال المعركة الانتخابية التي خاضها الإخوان ( إبريل ١٩٨٧ ) .

يُصبح غريباً أن تفسح الصحف القومية صفحاتها لذكرى حسن البنا .  
لأننا كقراء ، وكأصحاب للصحف القومية ، لا نختلف على أئمة الدين ،  
لكننا نختلف على رجال السياسة ، من أمثال حسن البنا ، أشد الاختلاف .  
فيراه بعضنا إماماً في أعلى عليين ، ويراه بعضنا راسبوتين ، ويراه  
الكثيرون بين هذا وذاك ، أو مزجاً من هذا وذاك . وهو في النهاية  
ليس مثلاً يُحتذى ، أو نموذجاً يُقتدى به . إلا إذا كنا نسعى إلى خفض  
أعداد السكان بالأغتيال المنظم ، أو إعلاء قيم الإرهاب والعنف  
والتصفية الجسدية في مجتمعنا الأمن ، أو ترويج الأسلحة المصرية  
بخلق سوق داخلية واسعة تُغنيننا عن التصدير . وهي كلها أمور لا  
أحسب أنها واردة في ذهن قادة السياسة أو قادة الفكر .

#### الوهم الثالث : وحدة التيار السياسي الإسلامي

وأعود إلى السؤال : أين الإخوان الآن ؟ . ولعلي أستأنن القاريء  
في تأجيل الإجابة قليلاً ، حرصاً مني على عنصر التشويق في المقال .  
وحتى أوضح للقاريء في البداية ما يسود الساحة السياسية من خلط  
في الأوراق . دليلي عليه ذلك الخلط بين ما يُسمى بالتيار السياسي  
الإسلامي ، وما يُسمى بالإخوان المسلمين . لأن السائد أنهم جميعاً  
في سلة واحدة ، وأنهم جماعة واحدة . وهو ما ليس صحيحاً على  
الإطلاق . فالأخوان المجاهدون من أحرص الناس على الشقاق . وقد

كانوا أربع عشرة جماعة بحمد الله ، عندما اعتقلهم السادات في سبتمبر قبيل وفاته . وقد فوجيء حراس السجون بأنهم يصلون في أربعة عشرة مجموعة ، بعضهم بإمام وبعضهم بدون . ويؤكد العارفون أنهم تجاوزا الثلاثين الآن ، وأنهم مستمرون في مسيرتهم الخالدة . وأن منهم الجهاديين والفرماويين والقطبيين والتوفقيين والسماويين والخورميين . وأن الإخوان أضعف حلقاتهم ، فهم ينقصون ولا يزيدون . وهم مفتقدون للصلة مع جماهيرهم الأساسية من الطلبة والحرفيين . وبعض قادتهم ، إن لم يكن أغلبهم ، في غرف الإنعاش ، بحكم تقدم العمر ، وما بذلوه من جهد لا يعرف الكلل في تلوين التاريخ على غير لونه ، وفي طمس حقائقه ، وفي تبرير إنحرافاتة . وأنهم منذ ظهور سيد قطب مُتهمون بالتخاذل والمهادنة ، وباجتراف السياسة وهي بدعة ، ومغازلة الأحزاب وهي ضلالة ، وسيلان اللعاب على مقاعد الحكم ، وهو إثم عظيم إن أتى بغير السيف أو تحقق بدون العنف . وأغلب هذه التيارات ، وهي الأكثرية ، ومنها الجماعات الإسلامية ، لا تعرف لون بطاقة الانتخاب ، ولا شكل صندوقه ، ولا أسلوب ممارسته . وأغلبهم لا يقرأ الصحف ، حتى لا تتسلل إلى ذهنه صراعات التريب وترهات الاستشراق . والكثيرون منهم يرون في أوروبا مهذاً للشنوذ ، وفي أمريكا موطناً للإيدز ، وفي الأتحاد السوفييتي مرتعاً للإلحاد . وهكذا تُختزل الحضارة في رموز جنسية



محددة . وهم بعون الله قد أراحوا وأستراحوا ، حين اختزلوا أيضا برنامجهم السياسي في جملة واحدة ، وهي تطبيق الشريعة . وتصوروها حلا لكل المشكلات، بدءا بالإسكان، وانتهاء باستصلاح الأراضي ، ومرورا بالسياسة النقدية وتزايد السكان . وكفوا أنفسهم وكفونا مؤونة النقاش حول هذه المسائل الثانوية التافهة في تصورهم ، الأساسية والجوهرية في تصور مداركنا القاصرة .

#### الوهم الرابع : مظاهرات القوة

عندما توفي عمر التلمساني أحتشد الآلاف لوداعه ، وقدرهم البعض بعشرين ألفا ، وقدرهم البعض الآخر بعشرة آلاف . وأثار ذلك هلع بعض الساسة ، وأسأل لعاب آخرين . ولسوء حظي كنت في مهمة عمل بالأردن، فلم أتحقق من صحة أي من الرقمين . ولسنت بالمتحامل حتى أدعى أن الإخوان لا جمهور لهم ، فمصر الشاسعة الواسعة ، بتعدادها الهائل والمتزايد ، لا تعدم أنصارا لأي فكر . بيد أنه لو صح أعلى التقديرات ، فهو في النهاية لا يزيد عن نصف واحد في المائة من تعداد القاهرة . وإذا جاز أن تكون المقارنة بالجنازات ، فأين جنازة التلمساني، مع أحترامي الشديد لمقامه وجهاده، من جنازة عبد الحلیم حافظ ، ناهيك عن جنازة عبد الناصر ذات الخمسة ملايين أو يزيد ؟. لكنه الأسلوب القديم الجديد ، القلة المنظمة ، في

مواجهة الكثرة المبعثرة . والأقلية المتحدة ، في مواجهة الأغلبية غير المنتبهة . ومظاهرات القوة في سبيل القوة، وأي قوة أعز لديهم ... لا من الحكم؟. ذلك الذي يسعون إليه، حتى تسبح مصر في الظلام، وحتى تتحطم قواها، وينفرط عقد وحدتها، ويتنافس المتنافسون حول مدى العودة للوراء، وهل هو قرن واحد أم أكثر؟. وهو خلاف لم يُحسم بعد داخل طوائف التيارات السياسية الدينية ، حيث يرى البعض مثل حافظ سلامة (في تصريحه للمصور) \* أن العودة للوراء قرناً واحداً كافية. بينما يرى البعض الآخر أنه لا أقل من أربعة عشر قرناً للوراء ، تكفي لتحقيق أحلامهم الحضارية .

#### الوهم الخامس : السعي للديموقراطية

لست أدري كيف يتصور البعض أن تتحقق الديموقراطية على يد من لم تكل أيديهم عن حمل السلاح؟. ولنقرأ رأي الكتاب والمفكرين فيهم : فهذا هو طه حسين يكتب عنهم " ما هذه الأسلحة ، وما هذه الذخيرة التي تُدخر في بيوت الأحياء ، وفي قبور الموتى؟. ما هذا المكر الذي يكمن ، وما هذه الخطط التي تُدبر ، وما هذا الكيد الذي يُكاد؟. لم كل هذا الشر ، ولم كل هذا النكر؟. ولم رخصت بأمر \* مجلة المصور - العدد ٣١٦٨ - ٢٨ يونيو ١٩٨٥ ، حيث صرح الشيخ حافظ سلامة بأن ما كان مطبقاً قبل الاحتلال البريطاني سوف يتم إن شاء الله كما كان .. ما شاء الله ..

الإسلام الذي لم يُحرم شيئاً كما حرم القتل ، ولم ينه عن شيء كما نهى عن التعاون على الإثم والعدوان ؟ . وهذا كامل الشناوي يكتب :  
إبني حزين أن يُوجد إنسان واحد ، لا جماعة منظمة ، يصنع الموت للناس ، ويحترف التخريب والتدمير . وأن قلبي ليقطر حزناً ، إذا كانت هذه الجماعة ترتكب جرائمها باسم الإسلام وتجد من يصدق دعواها .

إن الإسلام الذي يقول في كتابه الكريم " وجادلهم بالتّي أحسن " ، لا يُقرّ الجدل بالمسدسات والمدافع والمتفجرات ( راجع كتاب "حسن البناء" - الدكتور رفعت السعيد ص ٢٢٣ / ٢٢٤ ) . ولعل أبلغ مثال على موقف الإخوان من الديمقراطية ما أعلنه الأستاذ عمر التلمساني قبيل وفاته في جريدة الشعب ، من رفضه للديموقراطية لعشرة أسباب . ثم رسالته الموثقة إلى (الإمام) جعفر النميري، والتي يطالبه فيها بأن لا تأخذه الرحمة بالدعاة إلى الحرية والديموقراطية (راجع كتابنا "قبل السقوط") ، بينما النميري يُعدم محمود طه لمعارضته السياسية بحجة الردة ، ويستتیب أعضاء حزب البعث ويحاول أن يُثبت تهمة الردة في حقهم ، لدعوتهم للوحدة العربية على أساس قومي عربي ، وإنكارهم للوحدة الإسلامية الصحيحة (على حد زعمه) .

عندما تحالف الوفد والإخوان ، أقسم الأثنان بأغلظ الإيمان ،  
أنهما كانا يداً واحدة قبل ٢٣ يوليو ، وأن علاقتهما الوطيدة ضاربة  
في جنور التاريخ. ويعلم الله ، ويعلم الأثنان ، أنهما طوال تاريخهما  
السياسي كانا ألد الخصام . وما أشبه الليلة بالبارحة . فها نحن نرى  
إبراهيم شكري يعلن أنه (لولا الملامة) لكان قد غير أسم حزبه من  
الحزب الاشتراكي إلى حزب العمل الإسلامي . وها هم كتاب العمل  
والإخوان ، يتبارون في الحديث عن أخوة أحمد حسين وحسن البنا ،  
وتوحد أهداف الإخوان ومصر الفتاة . وتحت يدي أحد أعداد مصر  
الفتاة بتاريخ ٥ أبريل ١٩٤٨ ، وفيه مقال بقلم أحمد حسين عنوانه "  
لن يمضى عامان منذ الآن ، حتى يكون هذا الشيخ المشعوذ المنافق ،  
قد فقد كل أنصاره المحترمين ، ولم يبق معه سوى حثالة الناس". أما  
الشيخ المشعوذ المنافق فالمقصود به حسن البنا ، الذي يصفه المقال  
بعد ذلك بأنه "وثن ما في ذلك شك أو ريب ، وقد بدأ الوثن يتداعى  
ويترنح ، وبدأ أتباعه يكفرون به " . وهو أيضاً "صنم سوف ينقلب  
عليه الذين أقاموه وعبده ، فيركلوه بالأقدام ، بل ويتبولوا عليه كما  
يبول كل عابدي الأوثان على أوثانهم". ثم هو يصف الإخوان المسلمين  
بقوله : " لقد قلنا في العدد الماضي أن الدين قد أصبح الآن وسيلة  
الإجرام ، فيقتل القاتل وهو يهتف الله أكبر والله الحمد ، ويفسق الفاسق  
وهو ينادي الله أكبر والله الحمد". وتحت عنوان " مجرم متبجح "  
بنفس الصفحة ، وبدون توقيع ، بدأ المقال بعبارة " ذلك هو المرشد

حسن البنا " وأنتهى بدعاء نصه " فلعنة الله عليك أيها الشيخ الدجال المنافق ، إننا نرفع أكف الضراعة إلى الله الذي تلوذ به ، أن يهتك سترك أكثر وأكثر ، وأن يُظهرك على حقيقتك ذات يوم " .

وإذا كان ما سبق هو رأي أحمد حسين في حسن البنا والإخوان ، فإننا نتوقع أن يستحي من يتحدثون عن وحدة الحزبين في الماضي . حجتهم في ذلك أن الحزبين قد وحدثهما شعارات الفاشية وخط أوراق السياسة بالدين . وهي حجة ضعيفة ، ومردود عليها بأنه ليس بالفاشية وحدها تتوحد الأحزاب .

#### وتبقى كلمة

سوف يذهب الملايين إلى صناديق الانتخابات ، ومن حقهم أن يختاروا ما يشاءون . وسوف تكون أختياراتهم شتى . غير أن من واجبي أن أنبههم إلى أن أحد الأختيارات يحتوي على (البرتا) . أما الطرفان الآخران في التحالف، فموعدي مع كل منهما في مقال تال ، لا أنتقل إليه قبل أن أحذر من دخول البرتا وأشباهها إلى البرلمان . لأن ذلك يُضيف إلى أعباء حراس المجلس الموقر، مهمة تفتيش النواب المحترمين بحثاً عن الأسلحة ، وهي إهانة لتقاليد برلمانية أصيلة . ومادام البعض يرى في ذلك بشرى ، ويتوقع للتحالف نجاحاً ، فليس لنا إلا أن نردد مع الشاعر بعد التعديل : أبشر بطول سلامة يا برتا .

## البرنامج السري للتحالف

**قصة المقال :** دخل التحالف السياسي الإسلامي ( العمل والأخوان والأحرار ) المعركة الانتخابية رافعاً شعار " الإسلام هو الحل " . فلما رددنا عليهم بأن الإسلام على العين والرأس ، لكننا نريد ترجمة هذا الشعار إلى برنامج سياسي . نشروا بياناً من نصف صفحة واحدة ، أحتوى ثمانى نقاط ، لا علاقة بينها وبين الإسلام إلا في نقطة واحدة ، هي الدعوة إلى تطبيق الشريعة . فلما واجهناهم بأن برنامجهم علماني ، وأننا لم نجد حلولاً لمشاكل المجتمع الحقيقية ، موثقة بأيات القرآن ونصوص السنة ، واجهونا بردود غريبة من نوع : وهل تتكرون أن في القرآن دواء لكل داء ، وحلاً لكل مشكلة ؟ . فلما ذكرنا لهم أن المسلمين قد اختلفوا ، وتعددت فرقهم حتى جاوزت السبعين ، وكل منهم يستند إلى القرآن والسنة . وأن القرآن خالد ، لكن رؤى المسلمين له تختلف . وأنه كانت للإمام علي بن أبي طالب رؤية ، ولمعاوية بن أبي سفيان رؤية ، ولعبد الرحمن بن ملجم الذي قتل الإمام علي رؤية . أقول لما ذكرنا لهم ذلك .. عادوا إلى نغمتهم القديمة ، وأتهمونا بالكفر والعصيان ، والردة بعد إيمان . ولم يكن أمامنا إلا صياغة برنامجهم مؤثقا بأقوالهم . ولعلها المرة الأولى التي يُنشر فيها هذا البرنامج ،

الذي أعتزرت مجلة المصور عن نشره ، لأسباب قدرتها

### **المقال : البرنامج السري للتحالف \***

للقاريء أن يخلد معنا إلى قدر من الأبتسام ، وأن يتسرى عن المعركة الانتخابية بقدر من الفكاهة ، وأن يتصور معنا رداً تخيلياً من أقطاب التحالف ( العمل والإخوان والأحرار ) على ما أعلنناه وما نعلناه ، وما لا نمل من تكرر إعلانه . من أنهم يبيعون لنا الوهم ، ويخدعوننا بمطالبتنا بانتخابهم ، رغم كونهم لا يملكون برنامجاً مدروساً أو غير مدروس . يواجهون به مشاكلنا بالحل ، وقضايانا بالمناقشة . ولعله من الضروري أن ننبه القاريء إلى أن تخيلنا للرد يقتصر على الصياغة ، أما المضمون فموثق على لسان أصحابه ، وبأقلامهم . وهو منشور في صحف المعارضة المُعبرة عنهم ، وليس لهم أن ينكروا منه حرفاً ، وليس لنا أن نضيف إليه حرفاً . وحسبنا أن نذكر القاريء بأننا في عام ١٩٨٧ ، وأن بيننا وبين بداية القرن الواحد والعشرين ثلاثة عشر عاماً ، وأن بعضاً من العلمانيين في الغرب قد أدعوا الوصول إلى القمر ، وأخترعوا ذلك الشيطان الألكتروني المسمى بالروبوت ، وزادوا غياً وضلالاً فنقلوا ساحة الحرب إلى الكواكب . ولعله من نافلة القول أن نذكر أن ذلك كله كان نتيجة طبيعية لخلاف التيارات السياسية الإسلامية ، وتمزقها ذات الغرب في الأحرار ، وذات الشرق في العمل ، وذات الجنوب في

---

\* أرسل للمصور في أبريل ١٩٨٧ ولم ينشر .

الإخوان ، وذات الشمال في الجماعات. بينما لو توحدت ، وقد توحدت ، ولو صاغت برنامجها ، وقد صاغته . لاهتز الشرق والغرب ، وأفاقوا من غيهم أمام هذا المارد الجديد، وتساقطوا من حوله عن اليمين وعن الشمال بين راقد وقعيد.

#### أولاً : البرنامج الإقتصادي

لا يختلف أثنان ، ولا تنتطح عنزتان ، على أن المشكلة الاقتصادية هي لب المشاكل. وليت المشاكل أقتصرت على انخفاض الأجور، أو ارتفاع الأسعار. وإنما أضيفت إليها مشكلة الديون، وهي أرق بالليل، وهم بالنهار . ولسنا نشك في أن ذلك كله، كان عقاباً من الله على غيبتنا وضلالنا وأستهترنا بأوامره ونواهيه . أما حديثهم عن الميزان التجاري ، أو ميزان المدفوعات . فكبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إن كذباً ، فلا ميزان إلا يوم الميزان ، حيث توزن الحسنات والذنوب، وحيث يقول المرء يا ليتني مت قبل هذا، وحيث يفر المرء من أمه وأبيه، وصاحبته وبنيه. أما الحديث عن الميزانية، فهو مقبول بشرط حسن النية . ومن أين تأتي حسن النوايا ، والميزانية مُحَمَلة بالخطايا . وقد أستن الأخ المجاهد إبراهيم شكري سنة حميدة أعلنها في البرلمان ، وتحدثت عنها الركبان ، حين رفض مناقشة الميزانية لوجود بنود فيها مُحَمَلة بوزر الفوائد الربوية ، وموارد المشروعات الروحية <sup>(١)</sup> . وللأسف الشديد ، كان هو المناضل الوحيد ، ولو تبعه

(١) موقف مسجل للنائب إبراهيم شكري رئيس حزب العمل في مضابط مجالس الشعب .



الأخرون ، لمرت الميزانية دون مناقشة . ولأصيب الحزب الحاكم بالكمد ، حين يرى الميزانية وهي تمر بسلام ، موصومة بالمخالفة للإسلام . ونحن نعد الناخبين في المجالس القادمة ، برفض مناقشة الميزانيات جملة وتفصيلاً ، استمراراً لمسيرة المجاهد الكبير الظاهرة ، وإحياء لوجه مصر الإسلامية ، مصر الطاهرة .

هذا عن الميزانيات . أما عن الديون ، فقد تطوع الأخ المجاهد مصطفى كامل مراد ، بتوفيق من رب العباد ، بوضع حل جذري لها ، أهمله الغافلون ، ومر عليه الكثيرون مرور الكرام . في مقاله الأفتتاحي المنشور بالأحرار ، وعنوانه " كنز قارون ، وهل يبحثون " (١) . وفيه وضع يده على المفتاح ، ورسم لنا طريق الفلاح ، حين ألهمه الله بأن كنوز قارون ، موجودة أسفل بحيرة قارون . وأن ما علينا إلا أن نبحث عن الكنز ، فنتنتهي مشاكلنا دفعة واحدة : نسد الديون ، ونملأ البطون ، ونقر العيون ، وبفيض الخير على ربوع وادي النيل . وقد صاغ الأخ مراد ، بتوفيق من رب العباد ، بحثاً قانونياً وعلمياً دقيقاً ، ذكر فيه أن مجرد اكتشافنا المفتاح ، هو الفلاح كل الفلاح . فقد ورد في القرآن ، أن العصبه الأولى للقوة تنوء بحمل مفاتيحه . والعصبه كما ذكر لا تقل عن عشرة من الرجال . وقد أصاب الأخ مراد كبد الحقيقة حين قدر وزن المفاتيح بطن كامل من الذهب الإبريز . ولو - لا قدر الله - فسلنا في اكتشاف الكنز ، فإنه تكفيننا المفاتيح . وقد تحسب الأخ

(١) المقال الأفتتاحي لجريدة الأحرار في ٧ يوليو ١٩٨٦ - راجع ملحق رقم ٢ .

مراد بالأعيب الصهاينة الأوغاد ، فذكر أنهم لو احتجوا بأن قارون كان نبياً يهودياً، وأن لهم حقاً في الكنز المصري. فإن من حقنا أن نرد عليهم بأن مصاريف الوديعة في البنوك لا تقل عن واحد في الألف ، وقد مر أكثر من ألف عام ، وأصبح الكنز حقاً خالصاً لديار الإسلام .

أما عن البركة التي يُنكرها العلمانيون ، ومن هم في فلكنهم سائرون ، والتي نسعى إليها بعون الله ، ويمنحها الله لعباده المخلصين ، من أمثال الأخوان المسلمين ، فلنا عليها شاهد ودليل . وليس ببعيد ما حدث في السويس، على يد الأخ حافظ سلامة، الذي وزع على الآلاف كعكاً من صندوق صغير ، فلم ينفذ الكعك ، وشبع الجميع . وظل الصندوق ملأناً كما هو ، لا يفرغ منه مداد الكعك ، ولا تهتر فوقه أبتسامة الشيخ الجليل ( راجع معجزات الشيخ سلامة في كتاب الشيخ حافظ سلامة " للدكتور محمد مورو - دار المختار الإسلامي). أما ما يشيعه المغرضون، عن اشتراكية بعض المشاركين في التحالف، أو رأسمالية البعض ، فإله يغفر الذنوب جميعاً عدا أن يُشرك به . والأحرار قد رفعت من أسمها لفظ "الأشتراكي" وحزب العمل قد أسقطها من مفرداته. وقد أعترض البعض ممن في قلوبهم مرض على ذلك، فنبتهم الأخ شكري نبذ النواة ، وتركهم يرفعون القضايا . ورب ضارة نافعة ، فقد أزلوا بموقفهم أي لبس ، وأخرسوا كل همس . وفي ختام البرنامج الاقتصادي ، وختامه مسك ، نعرض عليكم أيها الناخبون هذا التلخيص (يفضل بعض الإخوة استعمال لفظ البهريز ) :

الله واحد : رفض مناقشة الميزانية في البرلمان .

ليس له ثان : البحث عن كنوز قارون في محافظة الفيوم لسداد ديون مصر .

ولا ثالث : حلول البركة بحكم أصحاب الأيدي الطاهرة .

#### ثانيا : البرنامج السياسي

لا يختلف أثنان ولا تنتطح عنزتان ، على أن المشكلة السياسية هي لب المشاكل ، وأن قضية إسرائيل تقع منها في موقع القلب . ولعل موقف الإخوان المسلمين واضح في هذه القضية ، فحربنا معهم حرب دينية . وهم يسعون إلى الانتقام من هزيمة بني قريظة ، وقد اعترف الأخ مراد بخطئه عندما زار الدولة المزعومة ، وفسر موقفه بأنها من ديار الإسلام ، وأعلن بملء فمه رفض السلام . كما أن الأخ شكري بعد أن وافق على اتفاقية معسكر داوود ، أعلن موقفه المحمود ، بسحب التأييد ، والإدانة والتدبير . وبقي الإخوان على رأيهم ثابتين وبعدهم مستمسكين . وقد صاغ الأخ الحمزة دعيس ، مرشحنا في الجيزة ، ووكيل حزب الأحرار ، ورئيس تحرير جريدة النور ، مقالا كأنه اللؤلؤ المنثور ، نشره في جريدته الموقرة<sup>(١)</sup> ، في عبارة ساحرة ، أوضح فيها الحل الإسلامي للقضية ، ورتبه في ثلاث

---

(١) مقال افتتاحي للأستاذ الحمزة دعيس في جريدة النور .

مراحل. أولاها أنتهاز فرصة وجود تمثيل دبلوماسي للعدو في مصر، وأستدعاء السفير، وإرسال رسالة إلى رئيس دولة إسرائيل من رئيس مصر، يعرض فيها عليه الإسلام. فإن قبل، فأهلاً به ونعمت. وهنا يصح السلام، وينتهي العداة، ويحق لدولة إسرائيل البقاء. أما إذا رفض الإسرائيليون العرض، فليس لنا إلا أن نفرض عليهم الجزية، يدفعونها عن يد وهم صاغرون. فإذا رفضوا فقد أدينوا واجب الإسلام، ورفضوا هم السلام، وحل لنا قتل رجالهم، وسبي نسائهم، وأسترقاق أبنائهم. ويا أيها الناخبون كم هم علينا مفترون، وكم يقولون ما لا يفعلون، وكم يدعون أننا معتدون؟. وهذا عن دولة بني صهيون، أما عن باقي السياسة الخارجية، فقد نشر الأخ يوسف البدري وكيل حزب الأحرار، ومرشح التحالف الفردي عن دائرة جنوب القاهرة، مقالات ساحرة، نشرتها له جريدة الأحرار الظافرة، أفصح فيها عن واجب المسلمين في إعلان الحرب على بلغاريا وأسبانيا، بأعتبارها دياراً للإسلام، مُنتهكة حرية العقائد فيها على يد الحكام. وسوف يكون إعلان الحرب أول ما نفعل، في توقيت نُخفيه، لأن الحرب مفاجأة، والكف السابق سابق. أطال الله عمر الشيخ سيد سابق، فقد كان مناضلاً عظيماً، ومجاهداً في سبيل الله في تنظيماتنا العلنية والسرية، ولكم منا في النهاية البهريز، الموجز في عبارات مباركة كأنها الذهب الإبريز :

الله واحد : حل قضية إسرائيل إسلامياً .

ليس له ثان : إعلان الحرب على بلغاريا وأسبانيا

ثالثا : اليرامع الثانوية

لا يبقى أيها الناخب الكريم ، إلا أن نتوجه إليك ببرامجنا في بعض القضايا الثانوية ، التي ليس لها أهمية ، مثل الإسكان والتعليم والوطنية . وأهم ما فيها التعليم . وأفة التعليم ما جناه اللورد كرومر على تدريس التاريخ ، حين صاغه على غير حقيقته ، وأفسح صفحاته لحياء الفراعين ، الكفرة الأثمين . وقد بذلنا جهداً رائعاً في تصحيح الحقائق ، منها ما نُشر على لسان مرشحنا السابق الذكر ، الشيخ يوسف البدرى في جريدة النور . حين سأله أخ مسلم عن أسم فرعون موسى ، فأجابته - لافض فوه - بأنه قابوس بن مصعب بن معاوية . وقد خلفه الوليد بن مصعب وزوجته أسية ، وقد أستند في هذا إلى كتاب الكامل لأبن الأثير <sup>(١)</sup> . كما أن التليفاز المصري قد ساهم معنا بجهد مشكور ، حين عرض في شهر رمضان العظيم ، في العام الماضي مسلسلا ، أسلم جميع الفراعين في نهايته . وهكذا يكون الانتصار لدين الله القويم . ومادمننا في مجال الحديث عن التعليم ، فسوف تتم أسلمة برامجه ، وسوف تُستنبط جميعاً من الكتب الصحاح ، مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند أبن حنبل وكتب السنن المعترف بها ، والخالية من الإسرائيليات . وسوف نُطلق على كل منها أسماً إسلامياً . فتسمى الكيمياء علم القوارير الإسلامية . وتتردد على

(١) جريدة النور - العدد ٢٥٥ - بتاريخ ٢٨ يناير ١٩٨٧ - راجع ملاحق رقم ٣

المسامع تسميات الهندسة الإسلامية، والجيولوجيا الإسلامية، والطب الإسلامي. ومما هو جدر بالذكر أن التسمية الأخيرة قد شاعت، بجهد مشكور من نقابة الأطباء ، نتيجة جهاد دؤوب من الإخوة المجاهدين في النقابة .

أما قضية الإسكان ، فهي مصطنعة . فقد هجرنا الخلاء ، وتباعدا عن سلف صالح أفرش الغبراء ، وألتحف السماء ، وعز عليه الغطاء . ولم نسمع أن أحدا منهم شكوا من حر ، أو أرتجف من قر . وقد أصدر الإخوة المجاهدون في المنيا منشورا إسلامياً، هاجموا فيه سخف الإنفاق على المجاري . ودعوا فيه إلى الإقتداء بالسلف الصالح في قضاء الحاجة في الخلاء . فلم يستمع إليهم مسئول ، وهو أمر تحار فيه العقول .

ولا تبقى إلا السياحة ، تلك التي ضج الجمهور مما تنقله من إباحية وشنوذ، وأمراض أهونها الإيدز . وسوف يكون أول قرار لنا منع السياحة الخارجية ، وقصرها على السياحة الداخلية ، التي لا مجال فيها إلا لزيارة القبور ، دواء لضيق الصدور ، والله خير حافظاً ، وهو أرحم الراحمين .

عزيزي الناخب ..

أنصر الإسلام بتأييد التحالف ، وطبق مبدأ خالف تعرف ، وأعطنا صوتك تحصل على الجنة .

عزيزي القاريء ..

ما سبق كان تجميعاً لمقالات منشورة ، وأقوال مكتوبة وموثقة

لديّ . وليس لأحد أن يعترض على جزء واحد من البرنامج السابق بحجة أنه منسوب إليهم . فهو صادر عنهم ، ومنشور في صحفهم . وقد أجهدت نفسي في جمع مفرداته ، صانعا منها برنامجاً سياسياً ليس لي فيه إلا جهد التجميع . ولأنهم توجهوا إليك في منشوراتهم بعبارة "الإسلام هو الحل" ، فإني أستسمحك في أن أتوجه إليهم نيابة عنك بسؤال محدد وبسيط هو : هل هذا هو الإسلام ؟ .

وأتركك وصوتك ، وأتركهم وضمانهم ، على وعد بقاء .

## وختانه مسك

**قصة المقال :** قصة هذا المقال مضحكة مبكية . فكلنا يعرف أن الفيلسوف الفرنسي الكبير روجيه جارودي قد أشهر إسلامه، وأسمى نفسه رجاء جارودي ، وأستقبل في كل بلد إسلامي حل فيه أستقبالا يليق بتاريخه ومواقفه . بيد أن الجماعات الإسلامية في مصر أستقبلته أستقبالا آخر ، حين أصدرت منشورا شككت فيه في نواياه ، وحاولت إثبات أنه دسيسة لخداع المسلمين . ودعت المسلمين ، حسما للشك ، إلى التيقن من صدق إسلام الرجل ، بختانه . فإن قبل وسعد بذلك، كان صادقا . وإن رفض وأبى، فقد أنكشفت حيلته . وللعلم فإن عمر جارودي قد تجاوز الثمانين . وللعلم أيضا، فإن عنوان المنشور كان "أمحنوه بالختان" . ومن هنا أتت تسمية المقال "وختانه مسك" . وقد نشرته جريدة الأهالي، ونشرت جريدة فرنسية إشارة لمضمونه . والطريف أن الفيلسوف الفرنسي الكبير لم يزر بعدها القاهرة أو غيرها من العواصم العربية، تحسبا من المفاجآت . ومع حق .

### **المقال : وختانه مسك \***

\* نشر بجريدة الأهالي بتاريخ ١٣ يناير ١٩٨٨ .



ليس في العنوان خطأ إملائي أو مطبعي . فالمقصود هو الختان ، وليس الختام . ولست طبيبياً أو فقيهاً ، فأنتطوع بالحديث عنه طبياً أو فقيهاً . وإنما أنا مجتهد يُفزع ما يُفزع الناس ، ويُؤلمه أن يندنى البعض في عرضه لأفكاره ، وفي شجبه وإنكاره ، فيرى العالم من خلف نظارة حمراء . ويصيب إدراكه ذلك الموات الذي لا يميز معه بين المقبول وغير المقبول . والمسئول وغير المسئول ، والمعقول وغير المعقول . ويتبدل إحساسه ، فلا يعرف لأصحاب الفكر تقديراً ، ولا لأصحاب المواقف توقيراً ، ولا يراعى وهو يفعل ذلك حرمة لمقام أو لمقال أو لعمر أو لتاريخ .

ما هي الحكاية ؟ .

الحكاية ببساطة أن المفكر الفرنسي الكبير جارودي قد أشهر إسلامه ، وسعد بذلك المسلمون . وتُرجمت كتاباته عن هذه التجربة إلى العربية . وأُستقبل في كل بلد إسلامي بما يليق بفكره وموقفه من حفاوة تكريم . وكان طبيعياً وسط ذلك كله ، أن يسعى إليه الصحفيون ، وأن يحاوروه ويحاورهم ، ويستفسروا منه ويجيبهم . وهنا بدأت المشكلة ، وهي مشكلة ليست سهلة أو محدودة ، وإنما هي من المشاكل المركبة ، تلك التي تتعدد أسبابها وتتوغل نتائجها . وإذا كان السبب الظاهر هو تصريحات جارودي ، فإن الأسباب المستترة متعددة . فواحد منها يتمثل في التركيبية الذهنية الأوروبية المتحررة . وواحد منها لا يقل أهمية ، يتمثل في توقيت صدور هذه التصريحات ، حيث

صدرت عنه وقت أن تصور الساعون إلى تحويل المجتمع إلى دولة دينية ، أنهم قاب قوسين أو أدنى من بلوغ غايتهم . وفي أوج أنشغالهم بتوظيف كل فعل ، وتطويع كل قول بما يخدم أهدافهم . فإذا جارودي ، الذي أشهره برهاناً ، ينفجر في وجههم بركاناً ، مُعلنًا أنه لا يعتقد بوجود نظرية سياسية في الإسلام . وهو رأي يراه البعض منطقيًا ، ويراه البعض الآخر علمانيًا ، ويراه البعض الثالث - حلاً للإشكال - أجتهداً في الفروع وليس في الأصول . بينما يراه البعض الأخير ، وهم المتطرفون ومن جرى جريهم ، إنكاراً للمعلوم من الدين بالضرورة ، يُستتاب صاحبه إن أتاه جهلاً ، ويُقتل إن لم يرجع عنه ، ويُهدر دمه إن أستمراً غيه ولاذ بديار غير المسلمين .

لا بأس أن نذكر للقاريء أن المتطرفين ، كعادتهم ، كانوا أعلى صوتاً ، وأشد نكيراً ، وأقل تفكيراً ، وأسرع تكفيراً . وقد بدأوا حملتهم بمقالات من نوع "زيغ العقيدة لدى جارودي" و "جارودي يفتقد شروط الإجتهد" . وما أن سمعوا أن الأزهر قد أعترض على إذاعة أحد أحاديث جارودي في التلفزيون ، حتى تتادوا بحديث الختان ، ذلك الذي أنقله للقاريء دون أن يكون لي فضل إلا أمانة نقل البيان .

لقد أصدرت الجماعة الإسلامية في المنيا بياناً عنوانه " امتحنوه بالختان" . تحدثت فيه عن : المدعو جارودي ، الذي أشنق أسمه من جارود ، ومعناها بالعربية الفصحى مشنوم . وهو ليس أول جارود يُبتلى به الإسلام ، ولن يكون آخرهم . فقد سبقه الجارود بن زياد بن

أبي زاد ، الذي تُنسب إليه فرقة الجارودية ، إحدى فرق الزيدية الزائغة . وبعد وصف مُسهب ووطنان ، لمؤامرات الإمبريالية العالمية والشيوعية الدولية ضد الإسلام . وكيف أنها بعد أن فشلت في مواجهته نداءً لند ، ورجلاً لرجل ، وسيفاً لسيف ، قررت أخيراً من داخله ، ومحاربتَه بسيف المسلمين وتحت مظلة الإسلام . أنتهى البيان برمي قفاز التحدي في وجه الجارود ، موجهاً حديثه إلى جماعة المسلمين ، مختصراً إياه في كلمتين " أمتحنوه بالختان " . مؤكداً " أننا - يقصد الجماعة - لا نرى في هذا الأمر تضحية بل دليلاً ، ولا نطلبه أمتحاناً بل برهاناً ، ولا نقصده إذعاناً بل عرفاناً . ومعاذ الله أن يخشى العبد عذاب ساعة ، إذا كان حقاً يخشى عذاب الساعة " .

تنتهى البيان الذي قرأه المئات ، وبقيت الأسئلة الحائرة حول تفكير المُصدرين له ، وأسلوبهم في حوار المختلفين معهم . ومواجهتهم للفكر بالختان ، وذكائهم والمعيتهم اللذين يدفعان بالإنسان إلى ما يشبه البكاء .

هل يلومني أحد بعد ما سبق ، إذا اعتذرت عن التعليق على البيان بما هو أهل له ، وإذا ذكرت أن البيان والعنوان يُغنيان عن التعليق ، وأنهما نموذج فذ لأختلاط الملهاء بالمأساة في أقل عدد من الكلمات ، والنباهة بالبلاهة في أقل عدد من السطور؟ . أما المأساة ، فليست في حاجة إلى بيان . وأما الملهاء ، ففي تخيل جارودي في ثوبه الفضفاض . وأما النباهة فحدث ولا حرج . وأما البلاهة ، فأحزن مثلي بلا حدود .

ومادام عنوان البيان وخاتمته، قد تكررت فيهما كلمتان لا ثالث لهما،  
وهما " أمئحنوه بالخنان " ، فلا أقل من أن نرد عليهم التحية بأحسن  
منها ، معنوين مقالنا وخاتمين له ، بكلمتين لا ثالث لهما ، وهما  
" وختانه مسك " .

## دعنا نرفع الكلفة فيما بيننا

**قصة المقال :** هذا مقال أرجو أن لا يُسيء القاريء الظن بألفاظه، وأن لا يُحملها أكثر مما تحتمل ، وأن لا يتصور في اختيار الألفاظ خبثاً أو في تركيب الجمل تخابثاً . وللمقال قصة ، فهو للرد على الأستاذ محمد الحيوان ، نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية . ليس على مقال واحد فقط ، وإنما على فقرات متناثرة في مقالات شتى على مدى فترة زمنية طويلة . كان يحلو له فيها أن يغمز في شخصي أو في أفكار غمزاً موجعاً . ومن أمثلة ذلك ما ذكره مرة ، من أنه جلس مع الأستاذ فؤاد سراج الدين رئيس حزب الوفد ، وذكر له أن وجودي في الوفد ( وقت أن كنت فيه ) سوف يؤدي إلى هروب الوفديين وفقد الحزب لشعبيته ( هكذا ) . والطريف أنه نشر ذلك بلا مناسبة، وبعد تركي للحزب بأعوام . وشاعت المصادفة أن تجمعني به في مكتب الأستاذ محفوظ الأنصاري رئيس التحرير ، فإذا به ينشر قصة مختلفة عن حديثي معه وحديثه إليّ . ثم يعلن في مقاله، أنني أخدع الناخبين بعدم إعلان برنامجي الحقيقي الموجز ، في إطلاق حرية الزناة والسكارى . وكان ذلك في أخرج لحظات المعركة

الانتخابية. وكرد مهذب عليه ، نشرت هذا العتاب الرقيق في جريدة الأهالي .

### المقال : دعنا نرفع الكلفة فيما بيننا •

في أخرج أوقات المعركة الانتخابية، تطوع الأستاذ محمد الحيوان، في عموده " كلمة حب " ، بنشر حوار دار بيننا في مكتب الأستاذ محفوظ الأنصاري، مختلفاً نصف ما نشره ، مُدعياً بعض العبارات على لساني ، ذكراً أنني لن تعوزني الشجاعة (على حد قوله) لإعلان أن برنامجي مُختصر في نقطة واحدة هي "عدم تطبيق الشريعة الإسلامية" . مُضيفاً من عنده ما تصور أنه ووافعي إلى ذلك، وهي على حد ما كتب ، إطلاق حرية السكارى والزناة . ورغم الاختلاق، وسوء العبارة، والتوقيت ، فقد رددت عليه بخطاب غاية في الرقة. تعمدت فيه أن أقرب منه بالصدقة، رداً على أبتعاده عني بالعداء . داعياً إياه إلى إزالة ألفاظ التفخيم من حوارنا ، من نوع الأستاذ الكبير أو الدكتور. ومازلت أتذكر الفقرة الأولى من خطابي له حيث ذكرت : دعنا نرفع الكلفة فيما بيننا، فتناديني " يافودة " وأناديك "ياحيوان" . ورغم رقة العبارات ، ورغم تنكيري له بأن عهدي به أنه وفي ولطيف وأليف ، فإنه لم يتطوع بنشر الرد ، أو حتى بذكر أسباب عدم النشر .

لقد تذكرت ما سبق ، وأنا أقرأ له في نفس العمود ، تعليقا عن

• نشر في جريدة الأهالي بتاريخ ٩ سبتمبر ١٩٨٧ .

مؤتمر قضايا الساعة الأمنية ، والذي عقد بأكاديمية الشرطة ،  
ينحوفيه باللائمة على المشرفين على المؤتمر ، لدعوتهم بعض  
الأفراد ممن (على حد قوله) يُضمرون عداً واضحاً ، ليس للطرف ،  
بل للإسلام . وبصفتي أحد المشاركين في المؤتمر ، أود أن ألفت  
نظره إلى أن تهمة العداً للإسلام ، لا تُلق هكذا على عواهنها .  
وأن أحداً في المؤتمر لا يُكن للإسلام عداً ، إلا إذا كان الحيوان  
يعتبر قتل الأبرياء ، وسرقة محلات الصاغة ، وحرق محلات  
الفيديو ، وترويع الأمنين بالرشاشات والقنابل ، إسلاماً في إسلام .  
أو يرى في الهجوم على هؤلاء ، هجوماً على الإسلام الحنيف .

ولعله يُدرك أيضاً أن قضية تطبيق الشريعة قضية خلافية .  
وأن البعض يرى أنها مطبقة بالكامل ، والبعض الآخر يرى أنها  
مطبقة في الغالب ، والبعض الثالث يرى أن تعطيل إقامة الحدود  
منهج وارد منذ عهد عمر بن الخطاب . وأن قضية تطبيق الشريعة  
جزء من كل ، هو إقامة الدولة الدينية الإسلامية ، التي تُتمثل في  
رأيي عبناً على الدين وأنتقاصاً منه ، وليست إضافة إليه . وليرجع  
إلى كتابي " الحقيقة الغائبة " لكي يُدرك ذلك من خلال حقائق  
التاريخ . وحقائق التاريخ لا تكذب . بيد أن البعض يقرأ ولا يفهم .  
والبعض لا يقرأ رغم أنه يفهم . البعض لا يقرأ ولا يفهم . ولعل  
الأستاذ الحيوان لا يُدرك أن الدعوة لتطبيق الشريعة تُتمثل دعوة  
لقلب نظم الحكم . لأنها تستبدل إطار الدولة المدنية ، حيث

الأحتكام إلى الدستور والقانون ، بإطار الدولة الدينية . حيث  
الأحتكام إلى هوى المفسرين للقرآن والسنة ، والمزايد عليهم .  
دون أن يقدموا لنا حتى الآن ، برنامجاً واضحاً ومحدداً للحكم .  
يكفل حرية الرأي والعقيدة ، ويحترم إرادة الشعب ، ويقيد سلطة  
الحاكم ، ويكفل لجميع المواطنين المساواة في الحقوق والواجبات ،  
ولا ينسف تراثهم التاريخي في الإنتماء للوطن والذود عنه والولاء  
له .

ويا عزيزي الحيوان ، هون عليك ولا داعي للشراسة في أنتقاء  
الألفاظ . فالعدو الحقيقي للإسلام هو من لم يجتهد لعصره ، ومن  
لم يستوعب دروس التاريخ ، ومن يلوح بإتهامات الكفر ، ونحن  
على البر . فما بالك لو خضنا معه في لجج أبن تيمية ، ودوامات  
المودودي ، وعواصف سيد قطب ، وعواطف عمر عبد الرحمن .  
ومعذرة إذا ناديتك بأسمك مجرداً ، فأنا ساع إلى صداقتك ، ومزبل  
لأي قدر من الكلفة بيننا كما ذكرت . وسوف أكون في غاية  
السعادة إذا خاطبتني بأسمي مجرداً ( يا فودة ) تماماً كما أسعد  
بمناداتك بأسمك مجرداً ( يا حيوان ) .



## أحمدك يارب

**قصة المقال :** فجأة احتلت الصفحات الأولى من الصحف اليومية أنباء القبض على تنظيم خطير اسمه رنان ومثير ، وهو "تنظيم إنكار السنة" . وللوهلة الأولى لم أعر الخبر التفاتاً ، لكثرة ما تعوننا قراءته عن تنظيمات العنف المسلحة والمذبذبة برداء الإسلام . وتركت الصحف لكي أعود إليها لقراءة التفصيلات (كعادتي) في المساء . وما إن بدأت القراءة وأنا مستلق على الفراش ، حتى نهضت جالساً . ومع متابعة السطور نهضت للجلوس على مكثبي . وبدأ إشعال السجائر وأشتعال الأعصاب . فزعم التنظيم الخطير ( على حد قول الصحيفة) أستاذ بجامعة الأزهر ، له رأي ( مجرد رأي ) في مدى حجية السنة إذا اختلفت مع نصوص القرآن الكريم ، أو تعارضت معها . وأسلحة الرجل لم تزد عن كتب نشرها ، وفصله الأزهر من الجامعة بسببها . وهي كتب متداولة في الأسواق . وأراؤه في مجملها لا تختلف ليس عن رأيي فقط ، بل عن رأي الإمام أبي حنيفة . لكن ماذا تفعل لجهاز مباحث أمن الدولة ، الذي نصب نفسه حامياً لحمى ما يتصور أنه صحيح العقيدة . متجاوزاً في ذلك ما أتصور أنه

صحيح الدستور والقانون. وقد نُشر مقالِي في جريدة الأهالي،  
وأفرج عن الدكتور أحمد صبحي منصور بعدها بأسبوع ، وسعى  
الرجل إليّ ليُشكرني . فأصبحت صداقةً أعتز بها ، وأعتز بالمقال  
من أجلها .

أحمدك يارب \*

**المقال :** إن صح ما نشرته الصحف القومية ، وأغلب الظن أنه  
صحيح ، لوجب علينا أن نحمد الله كثيراً على أن الإمام البخاري لم  
يكن معاصراً . فقد أهدر الرجل نحو ثلاثمائة ألف حديث منسوب  
لِلرسول . ولو فعل هذا في أيامنا هذه ، لحاصره البصاصون في مباحث  
أمن الدولة ، ولحاكمه المتخصصون في نيابة أمن الدولة ، ولأنزلوه  
وتلاميذه في زنازين سجون الدولة ، ولأتهموه - صدق أو لا تصدق  
- بتشكيل جماعة سرية غير مشروعة، تناهض المبادئ الأساسية  
للدولة .

الحمد لله كثيراً ، فقد ظهر الإمام أبو حنيفة في عصر غير  
العصر ، وفي بلد غير مصر . فقد كان الرجل شجاعاً في إنكاره  
للأحاديث غير الموثقة ، حتى قيل أنه لم يصح لديه إلا ستة عشر  
حديثاً . وقد كان للرجل تلاميذ ومريدون ، سعوا إليه دون خوف من  
رقيب ، ونقلوا عنه دون لوم أو تشريب . ووثقوا مذهبه دون أن

\* نشر في جريدة الأهالي بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٨٧ .

يُتهموا بالخروج على الشرعية أو بتشكيل جماعة سرية . ولو حدث هذا في أيامنا الغبراء ، لذاق أبو حنيفة من الهول ما تتحدث به الركبان . وكان اليوم وراء القضبان ، ولترحم في محبسه على الخليفة المنصور ، وهو يقضي فيه الشهور وراء الشهور ، منتظراً فتوى علماء الأزهر . وفتوَاهم معلومة ومكررة ومشهورة . فما أيسر ما يتهمون بالردة ، وما أسرع ما يصمون المجتهدين بإنكار معلوم من الدين بالضرورة .

يرحم الله الجميع ، ويرحمنا معهم . فقد تذكرناهم ونحن نقرأ في الصحف غير مصدقين ، عن الإمساك بتلابيب جماعة تُتكرر السنة . وقد فزعنا لهذا الإنكار أشد الفزع . وقرأنا ، فإذا بالفزع يُصبح محنة . وإذا بالإتهامات تتوالى فوق رؤوسنا ، نعم فوق رؤوسنا نحن . فكل اتهام مردود عليه ، وكل إدانة وسام على صدر المدان . بل إدانة لمن أتهم ، ومن أدان .

لقد ذكروا أن المتهم الأول أستاذ في الأزهر الشريف <sup>(١)</sup> . وأنه فصل من عمله نتيجة لأعتقاده . أي أنه بمنطق رجال الدين مؤهل للإجتهد ، وأنه بمنطقه هو مصرّ على أجتهاده إلى درجة فقدته لمورد رزقه . وقد زف إلينا الخبر بشرى ضبط " عدد كبير من الكتب التي ألفها ، وكلها تضم أفكاره المنحرفة " .

---

(١) الدكتور أحمد صبحي منصور - أحد الرموز الفكرية المجتهدة المستتيرة .

المضبوطات إذن كتب، وليست مفرقات. وأراء، وليست قنابل.  
وأفكار، وليست طلقات . بيد أن الخبر يُشير إلى أنها أفكار منحرفة .  
وقبل أن نتساءل عن يملك الوصم بالإنحراف ، وقبل أن تستبد بنا  
الأوهام ، ننقل ما ورد على لسان المتهم الأول في صحيفة الأهرام .  
فقد ذكرت الصحيفة بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٨٧ أنه قد ورد في أقوال  
المتهم : أن ما لا يتفق مع القرآن الكريم من أحاديث ، يُبرأ منها  
الرسول . وأن سنة الرسول الحقيقية هي تطبيقه الفعلي والقولي . وأن  
منطقه إلى هذا التمحيص ، هو شكه في قطعية نصوص السنة نتيجة  
لجمعها بعد أكثر من مائة عام من وفاة الرسول . وتضيف الصحيفة  
أن المتهم قد ادعى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه منع أن تكتب  
الأحاديث .

أما تدوين السنة بعد أكثر من مائة عام من وفاة الرسول ، فحقيقة  
يعرفها طلاب الإعدادية الأزهرية .

وأما نهى عمر رضي الله عنه عن كتابة الأحاديث ، فمعلومة  
تثبتها كل كتب التاريخ الإسلامي .

وأما مطابقة السنة القولية أو الفعلية على القرآن الكريم ، فمنهج  
لا يختلف فيه أثنان . وبعبير رجال الأزهر ، لا تنتطح فيه عنزتان .  
بل وأكثر من ذلك ، فإنه منهج موثق بأحاديث الرسول في البخاري  
ومسلم وأبو داود والترمذي وأبن ماجة والنسائي وأبن حنبل  
والدارمي .

لكن هذا كله لا يشفع للقابعين في لاطو غلي . ومادام اسم لاطو غلي يُوحى بأنه تركي الأرومة ، فليتعامل فقهاء لاطو غلي مع المفكرين بمنطق : أنتي بتشتغلي ايه يا خلبوصة .

لا بأس ، بل البأس كله حين نقرأ فقرة أخرى في حيثيات الاتهام، تذكر أن المتهم قد " ادعى أن القرآن الكريم لم يأت بحكم القتل على المرتد". وهي فقرة مُضحكة مبكية، لأن ما ذكره الرجل ليس ادعاء بل حقيقة . كان الأخرى بمن وصف هذا القول بأنه ادعاء ، أن يتحري ، وأن يقرأ القرآن ، وأن يعود إلى كتب الفقه وأقوال الفقهاء . حتى يعلم أن حد الردة غير مُوثق بالقرآن ، وأنه موثق فقط بحديثين منسوبين للرسول .

وأن الأهم من ذلك كله ، والمنتقن قبل ذلك كله ، أن نصاً واحداً في القرآن لم يرد ، وأن المتهم بهذا القول ليس مُتهدماً ، والمدعي بهذه الحقيقة ليس مُدعياً . وأن على المدعي بعكس ذلك ، أن يثبت ادعاءه بنص قرآني . وهو لن يثبت ، لأنه لن يجد .

حسناً ، بل ليس بحسن على الإطلاق . وعفوا إذا أزعجنا القاريء بتكرار نص الاتهام ، وهو " تشكيل جماعة سرية غير مشروعة تناهض المبادئ الأساسية للحكم " .

أما أنها جماعة سرية ، فنص الخبر يُوحى بغير ذلك . فدعوة الرجل موثقة في كتبه المنشورة على الملأ .

وأما أنها جماعة غير مشروعة ، فهو خبر جديد ، وبشرى تزفها إلينا مباحث أمن الدولة . فحواها إغلاق باب الاجتهاد ، لأنه غير مشروع حتى للمؤهلين له ، مهما كانت أسانيدهم الفقهية ، أو حججهم الشرعية .

ويبقى الأهم والأخطر ، وهو أن الآراء السابقة تناهض المبادئ الأساسية للحكم . أية مبادئ ؟ . وأي حكم ؟ .

هل خالف هؤلاء الدستور .. وإذا كانوا خالفوا ، فأبي نص ؟ .

هل خرجوا على القانون .. وإذا كانوا قد خرجوا ، فأين هو القانون الذي يمنع مسلماً من الاجتهاد ، ومفكراً من إبداء الرأي ؟ .

لا بأس أن نكرر ما بدأنا به الحديث ، وهو أن نحمد الله كثيراً . فمثل هذه القضية دعوة صريحة لمراجعة الأجهزة لدورها ، ومراجعة الدولة لسياساتها .. إن كان ما حدث تعبيراً عن هذه السياسة ، وهو ما لا نظن .

ليس دور مباحث أمن الدولة أبداً ، ولن يكون ، أن تضع على رأسها عمامة ، وأن تفتش عن الإيمان في القلوب . وإنما دورها أن تحارب الخروج على القانون ، وأن تواجه العنف والإرهاب ، وأن تكفل ما نص عليه الدستور من حرية الفكر والعقيدة ..

ليس دور مباحث أمن الدولة أبداً ، ولن يكون ، أن تصدر كتاباً

أو تحجر على فكر ، أو تقبض على حروف ، وإنما دورها أن تصادر  
قنبلة ، وأن تحجر على مطلقي الرصاص ، وأن تقبض على حاملي  
الكلاشنيكوف .

وليس لنا إلا أن نتساءل عن الفرق بين حكومتنا الرشيدة ،  
ومنهجها السديد ، وبين ما فعلته حكومة النميري في السودان ، حين  
حاكمت محمود طه ، وأعدمته بذات التهمة التي تُوجه اليوم إلى متهم  
جديد ، وبنفس الأسلوب .

إن القضية المطروحة على الرأي العام اليوم ، تضعنا جميعاً  
على مفترق طريقين : إما أن نكون متحضرين ، أحراراً فيما نفكر  
فيه ، طلقاء فيما نعتقد فيه . وإما أن نتعشق القيد ونتغزل فيه ،  
ونتجاهله إذا لم يُطبق على أدينا ، فيُطبق عليها ذات يوم قريب .

وحتى نتجنب هذا اليوم ، فلنتخيل دائماً ما حدث من قائد القوة التي  
فتشت منزل المتهم . ولنتصوره وهو يقفز فرحاً ، ويهتف مرحاً : كتب ،  
أراء ، أفكار ، اجتهادات ..  
أحمدك يارب ..

## نكوة أو لا نكوة

**قصة المقال :** فجأة توالى العمليات الإرهابية ، وأنهار رصاص المتطرفين على حسن أبو باشا والنبوي إسماعيل وزيرى الداخلية السابقين ، ثم على مكرم محمد أحمد الصحفى الشهير . وكان لدوي الرصاص فعل السحر . فقد صمت الجميع . ثم بدأت المقالات فى الصحف القومية والصحف الحزبية ، وكلها تحمل نغمة واحدة ، وهى دعوة الدولة إلى ضبط النفس . وكان أطرف ما نُشر فى هذه الفترة أن ظهور الجناة باللحي والجلباب ، دليل نفي للتهمة ، وليس دليل إثبات . وهكذا ، ولأكثر من شهرين كاملين ، ترجمت المقالات المتتالية تلك الحكمة الشهيرة " أنج سعد ، فقد هلك سعيد " . ولست ادعي أنني كنت أشجع الشجعان ، لكنى أؤكد أن المقال التالي الذى نُشر بجريدة الأهرام كان أعنف مقال عكسي ضد هذه الموجة . تلك الموجة التى ربما فسرت وضوحه وحننه وعنفه ، وبررت محتواه . وقد أحدث المقال أثره ، كما توقعت . وعندما قبض على الجناة ، كانوا من الجماعات الإسلامية ، كما توقعت أيضاً . وكان أسمي ضمن قوائم الأعتيال المضبوطة لديهم ، كما توقعت دائماً .



## المقال : نكون أو لا نكون •

من واجبي أن أذكر القاريء بمسلسل المقالات ، التي حاولت "تطوعاً" دفع التهمة عن الجماعات الإسلامية، في محاولة اغتيال أبو باشا . وأستسهلت نسبتها إلى قوى خارجية ، أمريكية أو إسرائيلية ، أو قوى داخلية علمانية . ووصل بها الأمر إلى التأكيد على أن أيّ تصريح للداخلية مُلقف ، وأي بيان للجماعات مصدق . ولم يشذ عن هذا الشذوذ، إلا ثلاث مقالات لمكرم وبهاء الدين والدالي. وقد وصل الرد إلى مكرم بالبريد المستعجل<sup>(١)</sup> . أما علم الوصول ، فأحسب أن أحداً من كتاب المسلسلات السابقة لا ينكره . وإذا كان من حق هؤلاء الكتاب ، وأغلبهم نجوم إعلاميون في الصحف القومية ، أن يلبسوا ثياب ملائكة الرحمة ، وأن يعلنوا خوفهم من لجوء أجهزة الدولة " القاسية " إلى عنف الرد . فإن من حقنا عليهم أن نسألهم عن دوافع هذا الخوف، وهل هو خوف حقاً على الدولة ، أم خوف على أنفسهم، أم خوف على الجماعات ؟. ولماذا وهم في غمرة الخوف هذه ، لم يتسرب إليهم خوف علينا ، نحن الشعب ، من إرهاب مارسه علينا غلاظ القلوب وقساة الأكباد؟. الذين لا يعرفون من الإسلام إلا السيف أو الزناد ، وينشغلون عن سماحة الإسلام بترويع العباد ، ويردون على التحية بالبنادق الآلية، ويقصفون الحروف بالكلاشنيكوف؟. بل

\* نشر في جريدة الأهرام بتاريخ ٧ يونيو ١٩٨٧ .

(١) إشارة إلى محاولة اغتيال مكرم محمد أحمد .

يُحلون الحرام عن عمد ، ويرتكبون الجرائم بقصد . فهم يحلون الكذب ، حين يدعون أن أبو باشا <sup>(١)</sup> مزق المصحف وداسه بالأقدام . ويحلون السرقة ، حين ينهبون محلات الصاغة الأقباط . ويحلون القتل ، حين يغتالون رئيس الدولة في المنصة ورجال الشرطة في أسيوط . ويصلون إلى ذلك كله بفتاوي من لا هم لهم إلا الإفساد في الأرض . وإذا كان تهديدهم لأبو باشا ، بالاشعار والأناشيد التي تتحدث عن الرشاش وغرف الإنعاش ، لا يصلح دليلاً للشك . وإذا كانت اللحي ، لا تصلح سبيلاً للتأكد . وإذا كان ماضيهم في اغتيال القادة وزعزعة هيبة السلطة ، لا يصلح سنداً للإشتباه . فمتى إذن يتوافر الدليل والسبيل والشك ؟ . وإلى متى تدفعنا كراهية علي إلى أحضان معاوية ، أو طعام معاوية إلى كره علي ، أو سيوف معاوية إلى هجر علي ؟ . وحتى متى يُوجه الرصاص إلى مسئول ، فيصيب غيره في مقتل ، أقصد في مقال ؟ .

لقد كانت أهداف عمليتي أبو باشا ومكرم واحدة ، وهي هزيمة الدولة ، وترويع المسئولين فيها ، وتخويف أصحاب الأقلام الشجاعة . والإيحاء للراقصين على الحبال بأنهم أنكباء . وإيهام المزايدين والمؤيدين بأنهم على حق . وأبداً لن يصلوا إلى أهدافهم . فمصر الكنانة لا تترك ، وأقلام الشرفاء لا تخاف . واللجوء إلى القتل إعلان لإفلاس العقل . والذي يحتمى بالمنفع في حوار هجره جبان .

(١) وزير الداخلية الأسبق - أصيب في محاولة أئمة لأغتياله .

والجبناء لا يخشاهم إلا الجبناء . والشجعان وحدهم يرثون الأرض .  
والرحماء وحدهم يبنون المستقبل . وفي البدء كانت الكلمة ، وفي الختام  
تكون . وإذا كان مطلقو الرصاص قد ارتكبوا جرماً ، فإن من يزايدون  
عليهم في الأحزاب السياسية والصحف الدينية ، يرتكبون جرماً أكبر .  
ومن يخافون منهم اليوم يرتكبون جرماً أكبر وأكبر .

إن وصف مرتكبي الجريمة بأنهم ضحايا ، أو أنهم أصابوا الغاية  
وأخطأوا السبيل ، مزيدة رخيصة ، وجريمة في حق الوطن  
والمواطنين . فالإرهابيون مجرمون آثمون ، بل هم فتية لم يؤمنوا  
بربهم يوماً . لأنه جل جلاله الرحمن . ولم يسلموا قلوبهم للإسلام  
يوماً ، لأنه دين الرحمة والموعظة الحسنة . وإذا كانوا يُعلنون كفرهم  
بالوطن ، فمن حق الوطن أن يكفر بهم . وإذا كانوا قد أحلوا دم الجمع ،  
فمن واجبهم علينا أن نذكرهم بأنهم قد أحلوا دماءهم أيضاً . بالقانون  
هذه المرة ، وبالشرع الذي لو أحتكموا إليه ، لقتلهم أو صلبهم أو قطع  
أيديهم وأرجلهم من خلاف .

على المزايدين إذن أن يخلوا من هول ما يفعلون . وعلى  
المدافعين أن يدركوا أنهم مشاركون . وعلى المهوليين من قصص  
التعذيب أن يدركوا أن أحداً لا يقبل به . بيد أن تهديد الوطن بالإرهاب  
أشد . وهو في ميزان الرحمن أثقل ، وفي ميزان التاريخ أنكى  
وأفظع . ولعلمهم يُدركون أن الديمقراطية التي أتاحت لهم المزايذة ،  
وأمكننتهم من الدفاع ، مُهددة اليوم في مقتل ، مُزلزلة بكل صاحب

رأي يُصاب ، مُغتالة بكل صاحب فكر يصرعه الهوى والغى وفساد القلب والعقيدة ، ولعل من رفعا شعار أن " الإسلام هو الحل " ، دون أن يُوضحوا لنا ما يقصدون ، يدركون اليوم أن البعض قد قرأها على أن الإسلام هو الحل ( بكسر الحاء ) . وفهما على أنه حل الدم ، دم الأبرياء والشرفاء والشجعان . ولعلمهم اليوم مُطالبون بتوضيح مقاصدهم ، وباستنكار تسمية جماعات الإرهاب بالإسلامية . تنزيها للإسلام ، ونفيا لتهمة الإرهاب عنه . ولعل كتاب الصحف والمجلات الدينية ، وبعضها تصدره الأحزاب الرسمية ، يدركون اليوم أن ما حدث جزء من حصاد ما كتبوه . ولست في هذا متجنيا أو متزيذا ، فيكفي أن يراجع البعض كتاباتهم في السنوات الأخيرة ، حتى يجدوا مكرم وأبو باشا وغيرهم متهمين بالمروق والإرتداد وزيف العقيدة والكفر الصريح .

وأخيرا .. سوف تظل مصر آمنة كما كانت ، وكما ستكون . وسوف يستمر مكرم وغير مكرم ، في الدفاع عن شرف الوطن دون خوف أو تردد . لأن الرجال يعرفون الحق ، وبالحق يُعرفون . وسوف يدفع الرصاص الأثم شعب مصر كله إلى مواجهة الإرهاب . ولعل الدولة قبل الجميع مطالبة بإعمال القانون ، وبإلزام الجميع بعدم المزايدة على الوطن وأمانه . لأنه إما أم نكون ، أو لا نكون .

## حياءك الله

**قصة المقال :** هذا مقال يتّعرض لنموذج من العبث الرخيص ، الذي أبّتلّى الله بلادنا به ، في غفلة واضحة من القانون واحترام النفس . وفي حضور واضح لرائحة النفط التي أزكمت بعض الأنوف وأشبعّت بعض البطون . وفي هبوب واضح لرياح الخماسين ، التي تهب من الشرق مُحمّلة بقيم الجار ، دون أن تحترم حسن الجوار ، ولا الحدود بين جار وجار . والقصة سوف يجدها القاريء واضحة في ثنايا المقال . وهي عن مستثمر سعودي ( لا أعرف اسمه لأن ) ، سمحت له مصر بإستئجار وإدارة أحد فنادقها . فتصور نفسه مصلحاً دينياً ، وتخيل أن ريالاته يُمكن أن تفرض قانون بلاده على قطعة من أرض مصر . وبينما لا يستطيع المصري أن يعمل في بلاده إلا بضمانة كفيل . يتكفل هو بفعل ما يحلو له ، حتّى ولو كان على حساب الأعراف . وحتى لو أدى ما يفعل إلى الإضرار بإقتصاد البلد الذي أستضافه وأكرمه ، ويجد للأسف الشديد من يهمل له ويصفق لفعاله .

إن المملكة العربية السعودية بالنسبة لي وطن عربي كريم ، لقياداته كثير من المواقف المشرفة بجوار مصر ، ولبعض أبنائه من

الأصدقاء كل الحب والتقدير . لا علاقة لذلك كله بهذه الواقعة ، التي تُعتبر عن سلوك شخصي لفرد . بيد أن علاقتها وطيدة بأحترام القوانين والأعراف في مصر . تلك التي يبدو أنها لا تُحترم من المصريين أنفسهم . وقد زاد الأخ السعودي على ذلك ما لم تكن نعلمه ، وهو أنها لا تُحترم أيضاً من بعض من يقيمون فيها من غير المصريين .

لقد أرسلت هذا المقال إلى جريدة الأهالي ، التي نشرت كثيراً من مقالاتي . وقد اعتذرت الجريدة اعتذاراً رقيقاً ، بحجة أنها مقالة "شديدة" . فكان أن وجد المقال طريقه إلى القاريء في هذا الكتاب ، لكي يقرأه ، لأول مرة .

#### المقال : حياك الله \*

نقلت إلينا جريدة "النور" الإسلامية، التي يصدها حزب الأحرار، بشرى أبرزتها في الصفحة الأولى . مضمونها أن مستمراً "سعودياً" تعاقد مع وزارة السياحة على إدارة فندق سافوي بالأقصر . وكان أول أعماله المجيدة ، التي هللت لها الجريدة ، وباركها الشيخ أبو الوفا المتجلي الإمام الشهير بالأقصر في خطاب له نشرته الجريدة في صفحة أخرى ، أن أصدر قراراً بتحريم تقديم الخمور للنزلاء . وقد فزعت لذلك غاية الفزع . ولا علاقة لذلك الفزع بطل الخمور أو

---

\* أرسل لجريدة الأهالي ، ولم ينشر .

حرماتها ، وإن كنت سأناقش ذلك أيضاً . وإنما للفرع علاقة وطيدة بمدى احترام الغرباء في مصر للنظام العام ، ومدى التزامهم بالصالح العام . ولست أحسب أن مستثمراً مصرياً يُمكنه أن يذهب إلى السعودية لكي يُدير فندقاً ، فيطبق قانونه الخاص ، ويصدر قراراً بإباحتها لتقديم الخمور للنزلاء في فندقه ، دون أن يكون مصيره الطرد ، بعد أن يتلقى نصيبه من الجلدات في ميدان عام ، أو من السنوات في غياهب السجن . ولست أحسب أيضاً أن المستثمر السعودي يملك أن يفعل ما فعله في مصر ، إذا تعاقد على إدارة فندق سياحي في إحدى البلاد الأوروبية . ذلك لأن للقانون هناك هيئة . ، ولأن النظام العام هناك لا يتسع للأجتهادات . ولأن النشاط الإقتصادي لا يسمح بالعنتريات أو الفرقعات أو النزوات . بينما يحدث العكس في مصر ، ويتصور المستثمر أنه بدولاراته أو بريالاته ، قد أشتري مصر ومن فيها . وأنه قادر على تطبيق قوانينه ، لا قوانين الدولة . وأنه لم يأت للمساهمة في التنمية ، وإنما للمساهمة في الترتبية . وأن دوره يتعدى التمويل إلى التأديب والتهديب والإصلاح .

لست أدري حقاً من الذي أغوى هذا الرجل بالدخول في ميدان السياحة ؟ . ومن أومه بأن السياح يأتون إلى بلادنا لإشهار إسلامهم ؟ . ومن خدعه بأن هدفهم من زيارة الأقصر هو السياحة الدينية ؟ . ومن ضحك عليه ، مصوراً له ، أنه بماله يستطيع أن يفعل في مصر ما يشاء ، وأنه ما دام سعودياً وأدار الفندق ، فإن الفندق يُصبح أرضاً

سعودية ، تسري عليها القوانين والأعراف السعودية ، ويستقبل فيها السياح بياهاً ، ويودعهم بحياك الله ؟.

لست أدري حقاً من الذي خدع الرجل ؟. وإنما الذي أدريه أن أرض مصر واسعة ، وأنه كان يملك بأمواله أن يبني مسجداً ، أو يقيم مصحة ، أو يساهم في تمويل معهد ديني ، أو مصنع للملابس لإنتاج الجلباب القصير ، أو مصحة نفسية لعلاج المتطرفين الذين يركبون الناقة ويقضون حاجتهم في الخلاء ، أو أستصلاح الصحراء ، أو تمويل مشروعات البناء . أو غير ذلك من المشروعات التي لا تصدم وجدانه ، ولا تستثير كوامته وأشجانه . لكنه بأختياره للسياحة بدا لنا مُصلحاً أخلاقياً ، وليس مستثمراً . ويؤسفنا أن نذكر له أننا في غنى عن مواعظه ، وفي غير حاجة لمفاهيمه . وأنه إذا فضل أن يُطبق القانون السعودي في مصر ، فأولى به أن يعود إلى بلاده . وسوف يجد الكثير والكثير مما يستوجب الإصلاح ، شريطة أن يغوص قليلاً خلف الواجهة البراقة ، وأن يبتعد قليلاً عن الظاهر من الشعارات الرنانة . وما أحرانا أن ننبهه إلى أن للسياحة في مصر وزارة تحميها من بطش أجهاداته . وأن خمسة من أمثاله ، كفيلون بريالاتهم بإغلاق الأقصر . وأخشى ما أخشاه أن يُساعد ارتخاء هيمنة الدولة على القطاعات التابعة لها، ذلك المستثمر ونظراءه، أن يتجاوزوا، فيتدخلوا في سلوكيات السياح أو في طبائعهم أو أزيائهم . وسوف يجدون بالطبع من يهلل لهم كما هللت النور ، ويباركهم كما



باركهم أبو الوفا .

هذا عن الجانب العام في القضية ، وهو الجانب الأهم .

ولست أجد حرجاً في مناقشة الجانب الديني الذي أستند إليه طويل العمر . ومبعث عدم التحرج ، أنني لم أدع يوماً أنني رجل دين ، ولم أسع يوماً إلى منصب مفتي الديار ، ولم ألتزم في القضايا العامة بغير ما يجب أن يلتزم به الجميع ، وهو الدستور والقانون . غير أنني أملك من اتساع الأفق ما يسمح لي باستيعاب تجارب الآخرين ، وبوزن الأمور بمقاييس المصلحة العامة . ولقد سبقتنا الولايات المتحدة في ١٦ يناير عام ١٩٢٠ ، بإصدار قانون يحظر صنع الخمر وبيعها وأستيرادها . وكانت نتيجته أن ظهرت عصابات المافيا لتهربها ، وانتشرت الخمر بأضعاف ما كان عليه الأنتشار قبل صدور القانون ، وتوفي الكثيرون نتيجة غش الخمر . ثم في النهاية ، ألغي القانون في ٥ ديسمبر ١٩٣٣ ، بعد تجربة مريرة .

يستطيع من عاشوا في السعودية أو ليبيا ، أن يدركوا أن البشر هم البشر . وأن ردود الفعل في البلدين هي نفس ردود الفعل في الولايات المتحدة . ويسبق ذلك كله أن نؤكد حقيقة واضحة ، وهي أننا في مصر في ظل إباحة الخمر ، نحقق أقل المعدلات في العالم . وأكررها ، وأنا دائم السفر والترحال ، أقل المعدلات في العالم ، في شرب الخمر والإدمان عليها . ويستطيع أي مقيم في قرية ، أو شارع في المدينة ، أن يحاول جاهداً أن يعد على أصابع يديه عدد من

يشربون الخمر، حتى يتأكد مما أقول . وحتى يُدرك أن المنع بسلطة القانون، هو السبيل المؤكد إلى الانتشار . والدليل على ذلك يتمثل في انتشار المخدرات ، أضعاف أضعاف أنتشار شرب الخمر . رغم أن المشرع يصل بعقوبة الأتجار فيها إلى الإعدام . وما أكثر ما تحدثت في كتبي ومقالاتي ، عن عقوبة الخمر في الإسلام ، وكيف أنها تعزيراً ، وليست حداً . وما أكثر ما أفضت في أجتهدات أبي حنيفة، وفي تطابق القانون المصري مع مفاهيم الفقه ، فيما يتعلق بعقوبة السكر البين . وسوف يسعدني أن يلجا من يريد ، إلى قراءة كتبي ، أو أن يطرح الأمر في نقاش عام ، تتسع فيه المساحة والساحة لمزيد من التفاصيل .

وتبقى في حديثي عدة ملاحظات . أولها يتمثل فيما لاحظته من نشاط متزايد، وسعي إلى النجومية ، من أبو الوفا المتجلي ، متمثلاً في سعيه بالشيخ كشك والشيخ عمر عبد الرحمن . وأود أن أهمس في أذنه أنه أساء اختيار المكان أو الأسلوب . وأن هذا السعي في بلد مثل الأقصر ، يهدد اقتصادها ، ويخرب وحدتها الوطنية . ولا أزيد على ذلك . وفي الجعبة مزيد ، وفي القانون رادع ، وفي سلطة الدولة مرفأ أمين . وإنما أشير وأنذر .

وثانيها رجاء إلى وزير السياحة ، أن يكون واضحاً وحاسماً في هذه الأمور . وأن لا يترك الحبل على الغارب لمن يُخربون السياحة، بإسقاط أجتهداتهم عليها . وأن يسحب التراخيص ممن لا يلتزم

بالقواعد العامة . وأن يضع في نصوص التعاقد ما يُجبر المتعاملين في السياحة على الالتزام بقواعدها ، أو تركها لنشاط الآخرين . أو العودة غير مأسوف عليهم من حيث أتوا .

وثالثها نداء أوجهه للمستثمر السعودي ..

يا طويل العمر ، نحن شعب فقير ، يعتمد على موارد محدودة ، أحدها السياحة . ونحن متحضرون إلى النخاع ، متفتحون إلى غاية المدى . وقد عوضنا الله عن ضيق اليد اتساعاً في الأفق . وأنت رجل تملك أن تدفع لتستأجر الفنادق في الدنيا ، وتحرص على الاجتهاد لأمتلاك القصور في الآخرة . ونحن لا نقف في وجه أمانيك . لكننا نرجوك أن تمول هذه القصور بإجتهاداتك في بلادك بعيداً عنا . وسوف تجد في اجتهادات العدل الاجتماعي على لسان علي بن أبي طالب وأبي نر الغفاري وسلمان الفارسي ، ما يكفيك وزيادة . وفي بلادك مثل شائع يقول " يا غريب كن أديب " . والمقصود بالمثل ليس الأدب بالطبع ، فأنت مؤدب ومهذب ما في ذلك شك . لكن المقصود هو احترام نظام مجتمع الغربية وقوانينه وقواعده . لذا لا بأس أن تُعيدها على مسمعك " يا غريب كن أديب " .  
حيالك الله ..

## اللهم رحمتك وغفرانك

**قصة المقال :** فجأة أعلن المتطرفون عداؤهم للفن . ورغم أن ذلك العدا كان واضحاً منذ زمن بعيد ، من خلال الحوادث المتكررة لحرق المسارح ، مثل الهوسابير ونجم والجمهورية . وربما قبلها حرق الأوبرا ، لأننا لم نعرف في تاريخنا كله هواة لحرق المسارح غير هؤلاء . إلا أن توالي الحوادث، وتواترها في أمكنة مختلفة، وفي زمن قصير ، شغل المصريين إلى أقصى حد ، وأزعجهم أيما إزعاج . ففي كلية آداب القاهرة منعوا حفلاً للغناء . وفي جامعة أسيوط دمروا آلات الموسيقى . وفي قرية كودية الزار بمحافظة أسيوط هاجموا فرقة مسرحية . وعلى صفحات أخبار اليوم أعلن الشيخ الشعراوي أن الموسيقى مقبولة ، إذا لم يترتب عليها أهتزاز الجسد الذي يؤثر على الوقاء . وقبلها أعلن أستكاره لسلوك البعض ممن ينامون على موسيقى بيتهوفن . وهكذا أراد البعض أن يقف الإسلام في المواجهة مع الفن . وقد تزامن ذلك مع انسحاب بعض الفنانين من ساحة الفن إلى ساحة التفرغ للعبادة ، معلنين عن توبتهم وندمهم على ما أقترفوه في الأيام الخوالي . نذكر منهم الفنانة شمس البارودي

والفنانة شادية، والفنانة هناء ثروت . وأخيراً الراقصة الشرقية (سابقاً) هالة الصافي . وقد أعلن الشيخ الجليل الشعراوي أن أغلبهم قد تاب وأناب على يديه.

في ظل هذا المناخ ، الذي قد يعجب (بفتح الياء) له البعض ، وقد يُعجب (بضم الياء) البعض ، كان هذا المقال الذي نشرته جريدة الأهرام تحت عنوان "الموسيقى غذاء للروح" .

### **المقال : اللهم رحمتك وغفرانك \***

في الدول المتقدمة ، يستعينون بالموسيقى في مزارع الماشية ، لأنها تزيد من إدرار اللبن. ودلالة ذلك أن الماشية تطرب للموسيقى. بينما يدعو البعض إلى حرمان البشر من سماعها، بحجة أنها حرام، إلا إذا كانت ضرباً على الدفوف .

الموسيقى لدى الماشية غذاء للروح ، ولدى بعض البشر جموح وجنوح . ولو قدر لهؤلاء أن يفرضوا إرادتهم، لأصبح من حق الجماهير العريضة التي تطرب للفن وتتذوقه ، أن تتظاهر مُطالباً بالمساواة مع الماشية في حق طبيعي .

أي مفارقة هذه ، وفي أي زمن ، وعلى يد من ؟.

المفارقة أن هذه الدعاوى ترتفع ونحن على أعتاب عصر مذل،

---

\* نشر في جريدة الأهرام بتاريخ ٣٠ يونيو ١٩٨٨ تحت عنوان "الموسيقى غذاء الروح"،  
والعنوان من اختيار الأهرام

يتأهب فيه الإنسان لغزو الفضاء ، وحرب الكواكب ، وإنجازات الهندسة الوراثية . والغريب أن أصحاب هذه الدعاوى لهم حظ من العلم والثقافة . وأنهم يظنون - وبعض الظن إثم - أنهم ينفذون إرادة الله . الذي خلق العصافر لتشدو ، والطيور لتغني . والذي أنزل القرآن آية محكمة من الفن ، لغة وأسلوباً وقصصاً ومواعظاً وهدياً . ولو شاء لأنزله مُرسلاً بلا موسيقى في طيات آياته ، وبلا روي في نهاياتها ، وبلا أنغام تتبعث من حركات الحروف وسكناتها .

إن قراء القرآن الكريم لا يجدون صعوبة في التغني بأياته . وهم حين يفعلون ذلك ، يُخضعون قراءاتهم للسلم الموسيقي ، ويتبعون في ذلك قواعد الغناء . فيختارون مقاماً دون مقام ، ويُدخلون مقاماً على مقام ، وينتقلون من مقام إلى مقام . ولا يُعجزهم أن يفعلوا ذلك في أي سورة يشاءون من بدء القرآن إلى ختامه . بينما يعجزون ، ويعجز غيرهم ، أن يفعل مثيلاً لذلك بكتاب رصين ، رغم أن القرآن بالقطع أكثر رصانة . أو مقال جاد ، رغم أن القرآن بالطبع أكثر جدية . أو بحثاً عميقاً ، رغم أن القرآن باليقين أكثر عمقاً . وما كان ذلك كله إلا آية من الله لعباده ، وحجة مفحمة على كل من أنكر الموسيقى ، وأستنكر الغناء ، وأعلن العداء للفن . وما أكثر ما سمعنا محمد رفعت ومصطفى أسماعيل والمنشاوي وغيرهم . وما أكثر ما طربت النفس ، وأهتز الجسد ، وأنفعل الوجدان ، ووعى العقل ، ونحن نستمع منهم إلى مُحكم الآيات . وما أظن أن أحداً منا قد تصور وهو يفعل هذا كله ،

وينفعل بذلك كله، أنه أرتكب حماقة، أو أتى إثماً، أو أفتَرَفَ معصية. ولا أعتقد أن أحداً منا كان يتوقع ما قرأناه من فتاوى تحرم الموسيقى إذا أهتر الجسد، وترفض التطريب إذا أنفعلت النفس .

ما الذي حدث لنا في السنوات الأخيرة ؟. وكيف سعينا حديثاً إلى إنكار العقل أو إهماله ؟. وما الذي دفع البعض إلى البحث في بطون كتب التراث ، سعياً وراء حديث أحاد ضعيف هنا أو فتوى فقيه بلا سند هناك ؟. وما الذي جعل الإنكار أقرب كثيراً من القبول ، والتأثيم أهون كثيراً من التكريم ، والعسر أيسر كثيراً من اليسر ؟. ولماذا يحرص أبناؤنا أشد الحرص على التمسك بالقشور ، والتعصب للشكليات ، والتعلق بالفروع . حتى أن البعض منهم يدعى أن الإسلام قد أتى بزى ، وأنه فيما يرتديه يستن بسنة الرسول الكريم . وعلمنا ، وفوق كل ذي علم عليم ، أن الرسول لم يأت بزى جديد . وأنه أرتدى زي المقيمين في مكة ، وأغلبهم من المشركين . وأنه لم يُغير زيَه بعد أن تنزلت عليه الآيات البينات . وأنه أرتدى ما أهدي له من أزياء رومية أو حبشية أو فارسية بلا حرج . وأنه في ربه كان يقتدي بعصره ، تماماً كما نفعل نحن الآن . وأن أغلب الفقهاء قد أفتوا بأن سنة الرسول في الزي والعلاج خاصة بعصره ، ولا تتسحب على غيره من العصور . وهو ما يمكن أن يُحمل عليه الكثير من أمور الدنيا في عصره أو عصرنا .

غير أن البعض فيما يبدو يُهمل ذلك كله ، ولا يجد حرجاً في

الإفتاء بأن سماع موسيقى بيتهوفن قبل النوم حرام . تاركاً إيانا  
نضرب كفاً بكف ، ونحن نتساءل عن علة هذا التحريم . وعن مكان  
هذا الإنسان الوهمي ، الذي تتهيج غرائزه عند سماع بيتهوفن ،  
ويفسد طبعه إذا أنصت لموتسارت . وما أجدنا بتساؤل آخر عن  
سند تحريم ما لم يعرفه عصر الرسول من فنون ، مثل المسرح .  
ومن آلات مثل الشيللو والكمان والأورج والبيانو . وهل يأتري تمتد  
فتوهم إلى كل ما هو متاح وصداح ، فتتطلق القوافل الشعبية بحثاً عن  
طيور الكناري لنبحها خوفاً من الفتنة ، وإلى خريز الجداول لطمرها  
تحسباً من الإثارة ، وإلى أبواق السيارات لتتميرها تجنباً لمقدمات  
الزنى ؟ .

لا بأس من كسر إيقاع الإنفعال بقصة قصيرة ، دلالتها خطيرة .  
قصتها عليّ صديقة للأسرة ، قانتها المصادفة لزيارة حضانة أطفال  
تابعة لإحدى شركات توظيف الأموال بمدينة ساحلية . وفوجئت  
بمديرة الحضانة تكرم طفلاً في طابور الصباح أمام زملائه ، لأنه وهو  
في طريقه للمدرسة ، وضع قطناً في أذنيه حتى لا يستمع إلى  
الموسيقى في سيارة والده . وقد نسيت المربية الفاضلة ، أنها تُباهي  
الأطفال بوحش كاسر في مقبل الأيام . لأن من لا يرق وجدانه ، لا  
تسمو مشاعره . ولأن من لا تعرف الموسيقى طريقاً إلى قلبه ، لن  
تعرف الرحمة طريقاً إلى سلوكه . ونسيت أيضاً ما هو أهم ، وهو أن  
الإسلام كما تتشوق هي ، وكما نؤمن نحن ، هو دين الفطرة . وقد



نقلت إلينا جدران كهوف الإنسان البدائي رسوماً وفنوناً . ونقلت لنا حضارات ما قبل ظهور جميع الأديان أناشيد و غناء . ونقلت لنا الكتب السماوية حديث مزامير داود وترانيم الملائكة . وصدق الله العظيم حين دعانا إلى التأمل في آيات الكون . ولو تأمل المعترضون لوجدوا - كما ذكرنا - أن الماشية تطرب للموسيقى فتنتج . وأن الخيل تتفعل بالموسيقى فتترقص . وأن الطيور تسبح لله فتغني . ولأدركوا أن الفن في مجمله تعبير عن قدرة الله العظيم ، الذي وهبنا الجمال ، ومنحنا الخيال . فكان الفن .

أقول قولي هذا ، والعالم من حولنا مُنشغل كما ذكرنا بحرب الكواكب ، وهندسة الوراثة ، وغزو الفضاء . بينما نحن مُنشغلون عن ذلك كله بتحريم الموسيقى ، وتحريم الغناء ، وطول الجلباب ، وجنس الملائكة . فاللهم رحمتك وغفرانك .

## هل هذا محقول ؟

**قصة المقال :** للسودان الحبيب مكانة في نفسي ، لا تقل عن مكانة مصر . وقد كان هذا واضحاً في كتابي الأول "الوفد والمستقبل" . وكان أوضح في كتابي الثاني "قبل السقوط" . ولعله الآن أكثر وضوحاً . وإذا كان الله قد أبتلاني في مصر بمن ينجسون عليّ عيشي بخلط أوراق السياسة والدين ، فإنه أبتلاني في السودان بأراء حسن الترابسي ونوايا الصادق المهدي . والأخير أتى على جناح الديمقراطية ، وأستقبله الشعب بالعناق والترحاب . وكنت شخصياً أحد المؤيدين له والأملين فيه ، عن إقناع بأنه أستوعب درس عهد النميري . بيد أنه أثبت قدرته الخارقة في مجال آخر ، هو مجال المناورات ، وأستهلك الوقت فيما بين إصدار التصريحات والتراجع عنها ، دون أن يقدم حلاً لمشكلة واحدة من المشكلات . وهكذا أصبح السودان في عهد الديمقراطية مجرد مجلس (ونسنة) كبير ، يتصدره الصادق المهدي ، الذي ينطبق عليه وصف إمريء القيس "مكرّ مفترّ مقبل مدبر معاً" . والمشكلة في لفظ "معاً" ، حيث لا يدري أحد في السودان أو خارجه، ماذا يريد الصادق بالضبط ؟. هل

يريد إلغاء قوانين سبتمبر (الخاصة بالشريعة)، أم يريد الإبقاء عليها؟ . هل يريد حل مشكلة الجنوب ، أم سعى إلى انفصاله ؟ . هل هو مع الترابي أم ضده ؟ . هل هو مع الاتحاديين أم ضدهم ؟ . وكلها أسئلة حائرة ، أو أراد الصادق لها أن تظل حائرة . والمقال المرفق مكتوب بعد قراءة تصريح نُسب للصادق المهدي عن عزمه على تطبيق الشريعة على المسلمين ، وليس على غيرهم . وهو ما تراجع عنه فيما بعد ، وقد كان تراجعاً سريعاً إلى الدرجة التي فاقت سرعة كتابة المقال ونشره . حيث فاجأني الأستاذ الكبير محجوب محمد صالح رئيس تحرير جريدة الأيام السودانية بقوله : أنه قد تم التراجع عن ذلك، وأن النية تتجه إلى تطبيق الشريعة في الشمال دون الجنوب . وهي كارثة أخرى أرجو أن تُتاح لي فرصة التعليق عليها مستقبلاً .

#### المقال : هل هذا معقول ؟ \*

حدثني أبي - أطل الله عمره - عن جدي - رحمه الله - أن مصر عانت كثيراً من الامتيازات الأجنبية ، التي خصصت للأجانب امتيازاً خاصاً بهم ، لا يخضعون بموجبه للقوانين المصرية . ورغم أن جدي ومن عاصروه ، كانوا يلتزمون العزاء في أن الأمر خاص بالأجانب ، مقصور عليهم . إلا أن نفوسهم كانت تجد غضاضة في هذا الأزواج المقيت . وكثيراً أيضاً ما كان رسامو الكاريكاتير

---

\* لرسل إلى جريدة الأيام السودانية ، ولم ينشر لتراجع الحكومة عن القرار قبل النشر .

يستبدلون رسم العدالة التي تحمل ميزاناً في يد وسيفاً في اليد الأخرى ،  
برسم آخر تحمل فيه ميزانين ، في كل يد ميزان . وقد أستمر هذا  
الوضع الغريب حتى أنتهى بمعاهدة ١٩٣٦ ، فتنفس المصريون  
الصعداء .

خطر هذا كله في بالي وأنا أقرأ تصريح رئيس وزراء السودان ،  
ومضمونه أن قوانين سبتمبر ، الخاصة بتطبيق الشريعة وفقاً  
لأجتهادات النميري والمكاشفي إلى تعديل، ثم إلى تطبيق . وأن تطبيقها  
سوف يكون على المسلمين ، وأنها لن تطبق على غير المسلمين . وهو  
تصريح ظاهره الرحمة وباطنه العذاب . بل إن شئنا الدقة ظاهره  
المنطق وباطنه الكارثة .

أما المنطق فالأستدلال عليه يسير ، فمادام البعض يعرض على  
الشريعة بالنواجز ، ويرى في تطبيقها أستكمالاً لعقيدته . ومادام البعض  
الأخر ينهال على تطبيقها بالمآخذ ، ويرى فيه مساساً بعقيدته . فلماذا  
لا نرضى هذا وذاك ، فنطبقها على هذا، ونحجب تطبيقها عن ذاك؟ .  
وهو منطق مقبول من الناحية النظرية ، بيد أنه مدخل منطقي إلى  
تمزيق عرى الوطن الواحد ، وإلى ترسيخ الطائفية بدلاً من القضاء  
عليها . وإلى عديد من المشاكل المعقدة عند التطبيق، لابد وأن تنتهي  
برفض هذا وأستتكار ذاك . ولعل الميزة الوحيدة لهذا القرار ، تتمثل  
في أنه قرار فريد ، لم يعرف تاريخ الدول كلها في الماضي والحاضر  
نظيراً له . فالدولة الواحدة ، لأنها واحدة ، وحتى تستمر واحدة، لابد

وأن يحكمها قانون واحد . بينما يحكمها هنا قانونان . وتواجه الجريمة الواحدة فيها بعقوبتين . ويتميز فيها غير المسلمين على المسلمين باحتفاظهم بأطرافهم دون قطع . وأمتلاكهم لظهورهم دون جلد . وصيانتهم لأجسادهم دون رجم . بينما يتميز المسلمون بمساهمتهم الخيرية في بنوك الأعضاء . ومشاركتهم الفعالة في تعمير مقابر الفقراء . والمثابرة على الدعاء . أن يقلب الله عاليها على أسفلها ، حتى يتساوى آخرها بأولها .

حسناً ، دعونا ننتقل إلى التفاصيل ..

يسرق أحمد وجر جس منزلاً . فيعاقب أحمد بقطع يده من الرسغ ، ويعاقب جر جس بالسجن ستة شهور . ويلعن أحمد ذلك اليوم الذي وُلد فيه مسلماً ، ويوقد جر جس شمعة للعذراء شكراً على نجاته من برائن الإسلام . وينظر أحمد ، وكل أحمد ، إلى جر جس ، وكل جر جس ، على أنه خوافة ، أو حماية ، أو مواطن شرف .

كيف يستقيم ذلك ، وكيف يستقر ويستمر ، في دولة واحدة ، تتباهى مثلها مثل أي دولة متحضرة ، بالمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات ؟ .

مثال آخر ..

يُضبط النبيذ لدى محمد في أم درمان ، ولدى ميشيل في بورسودان . فيجلد أحمد في الميدان ، ويخرج ميشيل مبتسماً في أطمئنان ، بعد اعترافه بأنه نبيذ العهد .

## مثال ثالث ..

يرتكب جورج جريمة الزنا مع زوجة جعفر ، فيُحكم عليه بثلاث سنوات . ويرد جعفر الصاع صاعاً ، فيرتكب نفس الجريمة مع زوجة جورج ، فيرجم في ميدان عام .

هل هذا معقول ، بل قيل ذلك كله هل هذا ممكن ؟.

وهل يُصدقني القاريء إذا ذكرت له أنني تصورت الأمر في البداية دعابة . وأنه مجرد تصريح للأستهلاك المحلي . فإذا بي أفاجأ بأنه جد في جد . رغم أنه يؤدي إلى نتائج هي في حقيقتها هزل في هزل ، وكارثة لا أكثر ولا أقل ..

لست أشك في أن المسلمين في السودان يشعرون بالحزن والجزع . ولست أشك أيضاً في أن غير المسلمين في السودان يشعرون بالأسف والخجل . وأخشى ما أخشاه أن تنتقل عدوى هذا القرار إلى غيره من القرارات . حيث الشكل هو المقصود ، وحيث الترضية هي الهدف ، دون حساب للنتائج . فيصدر قرار بتطبيق النظام الرأسمالي على الرأسماليين ، والأستراكية على الأستراكيين . وتتوالى القرارات على نفس الشاكلة ، ويترتب على كل قرار ألف مشكلة ، ويتحول كل قرار إلى قنبلة . لست أشك في أنها ستفجر عن قريب ، ولن يسر أنفجارها عدواً ، فما بالك بالحبيب .

وأخيراً ، لست أشك في الدوافع النبيلة لمُصدري التصريح ، ولا

أعتقد أن وراءه شيئاً غير النوايا الطيبة . بيد أنهم يذكرون في الأثر ، أن الطريق إلى جهنم مُعبد بهذه النوايا . ويقيني أن مشاكل السودان أعقد بكثير من جزئية تطبيق الشريعة ، وهل تطبيق على هذا وذاك ، أم تطبيق على هذا دون ذلك ؟. بل إن يقيني أن مثل هذا النقاش لا يزيد عن كونه تلهية ، وهو في النهاية رفاهية ، لا تليق بشعب يطحنه السعي إلى ضروريات الحياة . وليس منطقياً أبداً أن ترتفع أسعار الضروريات إلى هذا الحد ، ويرخص الإنسان في نفس الوقت إلى هذا الحد .

## تحية إلى جسر الترابي

**قصة المقال :** لم أحزن في حياتي لعدم نشر مقال ، كما حزننت لعدم نشر هذا المقال . لو قل هذه المقامة ، التي أملتها علي مشاعري نحو هذا الرجل الذي لم ألتق به ، وأدعو الله أن لا ألتقي به يوماً .

لقد حل من بايع النميري على قرارات سبتمبر ضيفاً على القاهرة، وأستقبله البعض بالترحيب . وكان بودي أن يقرأ هذا المقال، حتى يعلم أن هناك من يعد الدقائق، حتى يطمئن إلى مغادرته لأرض القاهرة . وحتى يعلم أن سعيه إلى إراقة الدماء ، وتمزيق الأشلاء ، لم يضع سدى . وأن حسابه لن يكون فقط في الآخرة ، وإنما سوف يلقي بعضه في الدنيا ، جزاءً وفاقاً على إساءته للحضارة ، ولحقوق الإنسان ، وللوجه الحضاري للسودان . وقبل ذلك كله للإسلام الحنيف ، الذي تحول على يديه إلى إسلام عنيف . يعرف القطع قبل الشبع . ويبرر لحاكم مثل النميري أن يعلق معارضيه على أعواد المشانق . وأن يجمع النظارة ليس لمشاهدة فرقه مسرحية، أو الأستماع إلى أوبرا أو أوبريت . وإنما لمشاهدة قطع الأيدي والأرجل في ساحة سجن كوبر .

حسناً .. كانت المناسبة هي حضور الترابي إلى القاهرة . وكان



الرفض من جريدة الأهالي لنشر المقال لكونه عنيفاً من وجهة نظرهم، رغم أنه في اعتقادي أرق ما قدرت عليه. وليعذرني القراء في ذلك .

### المقال : تحية إلى حسن الترابي \*

مرحباً بك في مصر يا ترابي . فلعلك رأيت المصريين ، قسوماً أمنين ، أصحاباً كاملين . فلا أيد مقطوعة ، ولا أزرع منزوعة ، ولا سيقان مخلوعة . ولعلك أستكرت هذه التجاوزات الشنيعة . ولعلك ضربت كفاً بكف منسائلاً عن تطبيق الشريعة . ولعله يجدر بنا أن نعتذر إليك . فما كل من ركب الحصان خيال . ولا كل من فوق التراب ( ترابي ) . ولا كل من فهم الإسلام سفاح . ولا كل قلب قَدْ من حجر مثل قلبك . ومعذرة ، فنحن ملوثون بالحضارة يا سيدي . تتفعل قلوبنا لمرأى المصلوبين . وترتج مشاعرنا لصراخ المجلودين . ويُغشى علينا كما غشى عليك في ساحات القطع . ويطفر الدمع من عيوننا على مصير المقطوعين . ونرى الإسلام سمحاً شديداً السماحة . ونرى مأساته في جمود المجتهدين ، وأجتهد الجامدين . وفي الخلط بين هوى الحكم وأحكام الدين .

مرحباً بك يا رجل ..

فلعلك قرأت في صحفنا أن رئيسنا منتخب ، وليس إماماً يُبسايعه أهل الحجة من أمثالك . ولعلك أنكرت عليه ، أن يتجاوز شروط

---

\* أرسل لجريدة الأهالي ولم ينشر .

الإمامة المرعية . ولعلك أنكرت عليه الشرعية . ولعلك فزعت حين جلست إليه ، فلم تر سيفاً ولا نطعاً . ولعلك بحثت دون جدوى عن مسرور ، وربما تعجبت لهذا القصور . وربما فسرتة بكرم الضيافة . وبالبنون الساشع بين الرئاسة والخلافة . وربما ترحمت على أبي العباس السفاح ، وأبي جعفر المنصور ، وأبي جعفر النميري . ولعلك استتكرت عليه سماحه بمجلس للشعب ، ينتخبه الشعب . بينما أمامه نظريات الفقه الإسلامي ، التي أفرزتها عصور الدولة العباسية، والتي تسمح بمجالس الشورى ( الاستشارية ) . تلك التي يختارها الإمام ، ويرأسها الإمام ، ويحلها الإمام ، ويؤمها الإمام ، ويتجاوز فتواها وحسابه على خالق الأنام . غير عابيء بأن يُصبح في نظر العالم المتحضر أضحوكة، وأن يصفه المتفرنجون من أمثالنا بأنه إرهابي .  
مرحباً بك يا ترابي .. مرحباً بك في مصر .

فلعلك رأيت حين دعاك إبراهيم شكري إلى نادي الجزيرة ، فتيانا وفتيات يتجاذبون الحديث في الأدب والثقافة ، والسياسة ، والعلم والفلسفة والفن . ولعلك بحثت بين الشاب والفتاة عن ثالث فلم تجد .  
أو عن خيط تمرره بينهما فمنعك الخجل .

مرحباً بك يا رجل .. فلعلك ضربت كفاً بكف ، وأنت تقارن بين شبابنا وبين الأقرع وحابس وحظلة . وبين فتياتنا وبين الخنساء والعمشاء والعوراء . ولعلك تذكرت فاطمة حسن صالح ، ونوال

محبوب حامد ، وجلدهما بتهمة الشروع في الزنا (؟) تأكيدا على  
عين الشريعة الساهرة .

مرحباً بك في القاهرة .. فلعلك تساءلت في ميدان التحرير عن  
ساحة القطع . ولعلك زرت فيه الطامة الكبرى ، أقصد المتحف  
المصري . ذلك الذي ترتفع في ساحته الأصنام ، ويحتفل فيه شعبنا  
بذكرى الفراعين ، الكفرة الملاحين . بينما أمثالك من العر الميامين ،  
لا يابه بهم أحد ، ولا يحتفل بهم أحد . ولولا أنك في بلد يحكمه ذلك  
الطاغوت ، المسمى بالقانون ، لانهلت على تلك الأصنام تحطيماً .  
حتى تسعى الجماهير إليك ، وتشدُّ على يديك . وحتماً كنت ستفعل ،  
لولا ذلك القانون ، أقصد ذلك الوثن .

مرحباً بك يا حسن .. فلعلك وأنت في طريقك من التحرير إلى  
رمسيس ، أمعنت النظر كثيراً في دار القضاء العالي ، وتعجبت  
لوجود القضاء والقضاة ، وعدم استبدالهما بالقضاء والقدر .

مرحباً بك يا ترابي .. ولولا ضرورات العصر ، ولولا أننا في  
مصر ، لفرشنا لك الأرض أرجلا وأيدي . ويكفينا أنك أنرت لنا  
السبيل في محاضرتك الساحرة بنادي هيئة تدريس جامعة القاهرة ،  
حين حدثتنا عن حل مشكلة الجنوب . وكيف أنك ترى حلها في يد  
سوار الذهب ، الذي يقود مجموعة تدعو ملايينهم إلى الإسلام .

ويا سلام .. ما أروع فكرك ، وما أوسع أفقك ، وما أشد قريحتك ،  
وما أخصب خيالك . وما أجدرنا أن نقندي بك ، فنحل مشكلة الفتنة

الطائفية في بلادنا بأسلمه الأقباط . ونحل مشكلة إسرائيل بدعوة  
شامير إلى اعتناق الإسلام . ولماذا حقاً لا يُرسل مبارك إلى ريجان  
وجورباتشوف رسالة يُقرُّهُما فيها السلام، ويأمرهما فيها بالإسلام .  
يا سلام ؟.

مرحباً بك لأنك ضيف . ولولا ذلك لصارحتك بأنني أفزع لرؤية  
وجهك الحقود ، وجبينك المعقود ، وطريقك المسنود . لكنك ضيف  
على كل حال . وحتى لو كان الضيف ثقيلاً ، فمصيره إلى ترحال .  
ولعلي قبل أن أتركك في سلام، أغفر لك أي شيء إلا أن تُسيء إلى  
الإسلام . وعساك تستقر في بلادك ، وتستمر بعيداً عنا في جهادك ،  
حتى يزول عنا الضيق والحزن .

مرحباً بك يا حسن ..

## تعقيب لطيف على بيان سخيف

**قصة المقال :** هذا مقال أحدث ضجة في السودان ، عندما نشرته جريدة الأيام السودانية ، يوم ٦ ايريل ١٩٨٨ . وانبرى له الدكتور حيدر ايراهيم علي مدافعا ومؤيدا، بمقال عنوانه "هل العلمانية تهمة ؟" بتاريخ ١٨ ايريل ١٩٨٨ . ثم أتى رد هيئة علماء السودان في صورة مقال عنوانه " الإسلام باق بإرادة الله وجهاد المؤمنين " للأستاذ أحمد عبد السلام أحمد من هيئة إحياء النشاط الإسلامي، بتاريخ ٢٢ ايريل ١٩٨٨ . الذي عقب مرة أخرى على مقال الدكتور حيدر بمقال عنوانه " العلمانية تهمة تعادل الكفر بالنسبة للمسلم " بتاريخ ٢٧ أبريل ١٩٨٨ . وجميع المقالات منشورة بجريدة الأيام . وقد كان بودي أن أنشر جمع التعقيبات ، خاصة مقال الدكتور حيدر ، لولا ضيق المساحة . فأكتفيت بنشر الرد الذي تناولني في الملاحق ( ملحق رقم ٤ ) . ونعود إلى قصة المقال ..

لقد تلقيت خطابا رقيقا من الأستاذ زكريا حامد ، الصحفي السوداني الذي أتمنى أن أعترف به شخصيا يوماً من الأيام . وقد أرفق الأستاذ زكريا بخطابه بياناً أصدرته جماعة تُسمى نفسها "هيئة كبار العلماء

في السودان . والمقال يُقرأ من عنوانه كما يقولون ، وقد كان عنوان المقال "الإسلام باق وشريعته ماضية، ولو كره بابا الفاتيكان". وكان واضحاً من العنوان أن بابا الفاتيكان قد أحم في البيان إقحاماً . وأن هدف إقحامه هو أستفزاز النعرات الدينية في نفوس البسطاء ، ومصارعة طواحين الهواء . تماماً كما فعل دون كيشوت في رواية سرفانتس الشهيرة . وبمجرد البدء في قراءة البيان، تتاوبنتي مشاعر العجب والدهشة . فما هو الحديث المُعاد منذ أيام النميري عن البركة التي ستحل ، والجنان التي ستثمر . بشرط ووحيد بسيط، وهو أن يُسلم الشعب ظهره للجلاد ، وأيديه لمحترفي القطع ، ورأسه لأفكار محترفي المبايعات، ومستقبله لمن يسيرون للوراء . وسوف يرى أيضاً كيف كان ردهم متراوحاً بين فكرتين أساسيتين، أولهما نُصحي بالتخصص في الزراعة . وثانيتهما سؤالي عما سافعله يوم القيامة عندما أقف بين يدي خالقي . وقد فكرت أن أورد على التساؤل الأخير بمقال عنوانه "وأنت مالك يا زول" . بيد أنني راجعت نفسي ، فما دام المقال قد نُشر ، والرود قد نُشرت، فقد أصبحت الحقيقة كاملة أمام القاريء . وما عليه إلا أن يختار ، والعقل بين ، والنقل بين ، ومستقبل السودان هو القصد .

### **المقال : تعقيب لطيف على بيان سخيف \***

\* نشر في جريدة الأيام السودانية بتاريخ ٦ أبريل ١٩٨٨ تحت عنوان "الدكتور فرج فودة يكتب للأيام من القاهرة معلقاً على بيان هيئة علماء السودان" .

قرأت بياناً أصدرته هيئة علماء السودان عنوانه "الإسلام باق وشريعته ماضية، وإن كره بابا الفاتيكان" وهو بيان يستحق التعقيب، دون اعتبار لما يُثيره البعض من كون الأمرهما سودانياً، لا يليق بمثلي أن يتدخل فيه. فالسودان مني وأنا منه. وما أشنكى جنوب الوادي يوماً، إلا وتداعى له سائر الشمال بالسهر والحمى.

أما إن الإسلام باق، فهذه إرادة الله لا العلماء. وأما أن شريعته ماضية، فأمر يستحق التوقف والتأمل. فللشريعة شروطها، ولتطبيقها مناخه. وتجربة السودان القريبة من عهد "الإمام النميري" دليل على أن شريعة الرحمة، يُمكن أن تتحول إلى سوط في يد الجراد، وسيف بتار في يد غلاظ الأكباد. لا يُغني عن ذلك الحديث عن البركة، ذلك الذي ورد في ثنايا البيان. وأثبتت قدرة الله عكسه، حين هلت على السودان بشائر المجاعة، جزاءً وفاقاً على أفعال من خلت قلوبهم من الرحمة، وهي جوهر الإسلام. ومن قصرت عقولهم عن الإجتهدان، وركنوا للنقل قبل العقل، وقادتهم ساديتهم إلى القطع قبل الشبع.

ما بالهم صمتوا أمام جفاف السماء، بعد أن وعدونا بالسيول؟. وأمام تشقق الأرض، بعد أن وعدونا بالجنان؟. وأمام خلع الإمام استجابة لغضب الشعب، بعد أن بايعوه مدى الحياة، وعاهدوه على السمع والطاعة؟. فجازته وجازتهم السماء بالمجاعة. وما ضرني أن يُهاجم البعض بابا الفاتيكان، ما ضرني هذا أبداً، لكن الضر فيما

ورد في ثنايا البيان ..

أول ما ورد في سطور البيان ، تسميتهم لأنفسهم بهيئة علماء السودان . ولست أدري أي سند من القرآن أو السنة ، ركنوا إليه في تشكيل الهيئة أو إطلاق الإسم الرنان عليها . فالإسلام لا يعرف واسطة بين الله وعباده . وهو لا يعرف كهنوتاً ، لكنهم يعرفونه . وليس فيه كنيسة ، لكنهم يقيمونها . والعالم في عصور نهضة الإسلام عامل يكسب من كد يده ، وليس من أدعاء أنه حامي حمى العقيدة . ويربح من تجارته أو صناعته ، وليس من ميزانية الدولة ، التي ينعت أموالها بأنها ربوية ، والتي فيها حق للسائلين والمحرومين والأيتام . وهم بحمد الله ليسوا من هؤلاء في شيء ، ولا يزيدون لدينا عن كونهم "شيء" . أبتدعه الفاطميون ، فساد ، وأستمرأه الأحفاد . فناصروا النميري ومن على شاكلته وأذلوا العباد ، ومزقوا البلاد ، وأكثروا فيها الفساد . فحقت كلمة ربك عليهم ، إن ربك لبالمرصاد .

أما ثاني ما ورد في البيان ، فهو قولهم "وبالإسلام تتحقق البركة في المعاش وبسط الأرزاق" . وهو قول له خبيء . فهم لا يقصدون الإسلام ، وإنما يقصدون الحكم بالإسلام . وما كان الحكم بالإسلام ركناً من أركانه ، إلا لدى من يلوون أعناق النصوص ، ومن يصدق عليهم قول الإمام عليّ "الإسلام حمال أوجه" . وهو قول أثبتت حوادث التاريخ صحته ، وفي عهد الإمام عليّ نفسه ، حين أتهمه البعض بالكفر ، وبرروا اغتياله بالفتوى . ثم اغتالوه ظناً منهم أن



ذلك أقصر الطرق إلى الجنان ، ورضا الرحمن .

وعهدي أن الإسلام في السودان بخير ، وأن شعائره تقام ، وأنه في حنايا الضلوع . وأنه من قبل ظهور المتاجرين به ، مُحاط بالتبجيل والتكريم والخشوع . بيد أن إقحامه فيما ليس من شأنه ، جهل وتجهيل . وأستهانة بالعقول بلا دليل . وما أجد من يتاجرون بشعار البركة ، أن يرجعوا البصر في العالم ، فيرتد البصر خاسئاً وهو حسير . حين يرونها تحل في الولايات المتحدة الأمريكية ، وتنزل أهلاً في الأقطار الأوروبية ، وتمرح سهلاً في أعتى قلاع الشيوعية ، وتتفافز طرباً في اليابان البوذية . بينما نلتمسها نحن فلا نجد لها . ونبحث عنها فتعز علينا . ونغازلها فتأبى . وندعوها فتراوغ . ونخطب ودها فتفر . ولا علاقة لذلك كله بالإسلام ، فالساحة غير الساحة ، ورحمة الله أعز من أن نعم من ينكرون على دينه الساحة . ولا يرون فيه إلا تمزيقاً للأشلاء ، وسباحة في الدماء . ولقد أعز الله الغرب بنيوتن ورايت ولافوازييه وباستير ، لأنهم يأخذون بالأسباب . وأبتلانا بأقوام آخرين ، بالنميري والمكاشفي والترابي \* ، لأننا لا نُلقي بالألتخمتهم ، وهم يحدثوننا عن الزهد . ولا لأمتلاء جيوبهم ، وهم يمتدحون الخصاصة . وبينما أهلك علماء الغرب أنفسهم في سباق الفضاء ، أهلك علماؤنا أنفسهم في قضايا أخرى ، مثل آداب

---

\* الكلمات بالحروف الثقيلة ورتت في أصل المقال ، ولم ترد عند نشره .

الإستجاء ، والدعوة لقضاء الحاجة في الخلاء ، وفرق بين هلاك معز وهلاك منزل . وإن شئت قل ، فرق بين من يأخذ بيد الكل ، وبين من يطلب الإجتهد فيكل . ومن يسعى وراء ظاهر النص وليس جوهره ، فيُضِلُّ ويُضِلُّ . أحسب هؤلاء أن البركة تحل سُدى ، وأن بيدهم مفاتيح المأوى ، وأن إفكهم هدى ، وأن عبثهم سيبقى ، ثم يرتفع سامقاً . وأن لهم الآخرة والأولى ، واليد الطولى ، وإنا لأوهمهم تُبَّع . وأنهم يتلقون إلهامهم من فوق سماوات سبع ، سبحانه وتعالى حين قدر ، وأعلى قوماً لأنهم أقدر ، وما كان لنا أن نتحجج بأنه قدر . أو نتبجح بأنه أبتلانا دون الأولى ، وأن أبتلاءه رضا عنا ، وغضبه كرامة لنا . الأساء ما يحكمون .

لهم أن يعلموا ، إن كانوا لا يعلمون ، أن دعوتهم للحكم الديني سوف تكون سبباً في انفصال الجنوب . وأن العصر لم يعد عصر إجبار فريق على الأنصياع لعقيدة فريق . وإن للإسلام روحاً وجوهر أيسبقان النص . وهما المدخل الوحيد لفهمه . وتوقيت تطبيقه ، أو تأجيل تطبيقه . ولو لا ضيق المساحة ، لفصلنا لهم ما فعله عمر ، وكيف أجتهد حيث قعدوا ، وغاص في روح النص حيث توقفوا عند ظاهره . ولعله لو عاصروهم لأنكروه . ولو فعل ما فعل في عصرهم لأتهموه . وليتهم يُدركون أن العمل في ميزان الإسلام الصحيح ، أفضل من الأعتكاف . وأن الرحمة والتكافل ، يسبقان السيف . وأن حل مشكلة الجنوب لا يكون بأسلمة أهله ، ولا بفرض

الشريعة على من لا يدينون بها . ولا بأفتعال المعارك مع البابا وغير  
البابا . ولا بالتلاعب بعواطف السودانيين من مدخل تسييس الدين .  
ويا سوداننا الحبيب .. لك من عاشق شمالي حب بلا حدود ،  
وعشق لا يعترف بالحدود ، وقلم لا أظن أن كلماته سوف تضيع  
سدى .

## ثلاثية الشيخ صلاح

**قصة المقال :** هذه ثلاثة مقالات ، جميعها عن واقعة محددة ، بطلها الشيخ صلاح أبو أسماعيل ، الذي أغروه بي وقت أن كنا في حزب الوفد معاً . وكان هو أسماً لامعاً ، وكنت أسماً مغموراً . ولعل هذا ما أغراه . فهاجمني بحدة ، فرددت عليه بشدة . ولعلي كنت - ومازلت - أسعد الناس بخصومته ، وأحرص الناس عليها . فما أوضح أخطاء الرجل ، وما أكثرها . وما أبعد الشقة بين ما يدعو إليه ، وما ينغمس فيه من قمة رأسه إلى إخمص قدميه . وسوف يجد القاريء في المقال الأول الذي نشرته الأخبار ، أنه رد علي رداً مبهماً ، أنكر فيه كثيراً مما ذكرت . فكان أن فاجأته بما لم يحسب له حساباً ، وهو الوثائق ، في مقال تال نشرته الأخبار أيضاً . نصحته فيه بالسكوت والإلتفات لما هو أكثر . فلما سكت ، داعبني شيطان المداعبة ، فكتبت المقال الثالث " السكوت علامة الرضا " ، الذي لم تنشره الأخبار .

أطرف ما في الأمر أن المدافعين عن الشيخ صلاح ، تجاهلوا

الأتهمات تماما ، وركزوا على نقطة واحدة . وهي أن حصولي على الوثائق يقطع بصلتي بأجهزة الأمن . ولعلها فرصة أن أوضح لهم كيفية حصولي على المستندات . فقد شاء حظي ، والله هو الموفق بالطبع ، أن يُشكل المساهمون في شركة الهلال مجلس إدارة مؤقت لمتابعة أعمالهم وأموالهم . وأختاروا لرئاسته صديقي الدكتور محمد كامل ريجان ، أستاذ الاقتصاد الزراعي ، والمشرف عليّ في رسالة الماجستير . ومن هنا توافرت أمامي المعلومات والمستندات والوثائق . وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى ، (والا إيه) يا شيخ صلاح ..

### **المقال الأول : يا شيخنا الجليل إياك والقضاء \***

نشر فضيلة الشيخ صلاح أبو إسماعيل في جريدة الوفد ، مقالا مضمونه نفي حصوله على خمسين ألف جنيه من آل الريان ، ليست من حقه . وذكر أنه ينوي اللجوء للقضاء أنتصافاً من وزير الداخلية، الذي أعلن ذلك. ولما كان الدين النصيحة، فإني أكتب إليه، متمنياً عليه، بل ومتوسلاً إليه، أن لا يفعل. لأن الحق للأسف الشديد ليس معه، بل مع الوزير . ولأن ما خطه قلمه يُثبت دعوى الوزير . ويثير من القضايا الفقهية والفكرية ما يثير ..

إن القصة التي ذكرها الشيخ صلاح باختصار، أنه أودع مائتي

---

\* نشر في جريدة الأخبار بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٨٨ .

ألف جنيه مصري من أرباحه ( في الخارج ) في شركة الهلال . ثم سحب منها مائة ألف وبقيت مائة . ثم أفلس صاحب شركة الهلال ، وهرب إلى الخارج . وأعلن الريان عن عزمه على شرائها . وهنا تقدم إليه الشيخ الجليل ، وحصل منه على المائة ألف التي تخصه .  
وتعقبينا نوجزه فيما يلي ..

أولاً : منذ هرب صاحب شركة الهلال وحتى لحظة كتابة هذا المقال ، لم يحصل مودع واحد في الشركة على أمواله أو جزء منها . وبعض المودعين أو المقرضين لهم قصص ومآسي يشيب من هولها الغراب . وبعضهم شهير ، مثل لاعب الكرة محمود الخطيب . والجميع مشتركون في هم واحد ، وهو أنهم منذ هروب الرجل وحتى الآن ، لم يحصلوا على مليم واحد من أموالهم . والوحيد الذي حصل على أمواله ( على دابر المليم ) هو شيخنا الجليل . ولست أدري ، هل يعتبر استغلال المكانة أو الأسم أو الصفة في حالة الغرم ، غنماً للرجل ، أم غرماً للمودعين ، أم حلالاً أم حراماً ، أم أمراً مشتبهاً ؟ .

ثانياً : أعلن الريان قبل الشراء ، أن المودعين سوف يحصلون على ثلثي أموالهم . ثم عاد وأعلن عند الشراء ، أنهم سوف يحصلون على نصف أموالهم وعلى مدى عامين . ولما كان رصيد الشيخ صلاح بالشركة مائة ألف ، فإن ما يستحقه هو خمسون ألفاً يحصل عليها على عامين . وحيث أنه حصل على المائة ألف كاملة ، فإن ذلك يعني أنه حصل على خمسين ألفاً زائدة دون وجه حق . وهو نفس ما ذكره

ثالثاً : الحقيقة التي تجاهلها الشيخ صلاح ، أن الريان لم يشتر الهلال بعد . وأن كل ما حدث هو اتفاق على الشراء ، ودفع لمقدم الثمن ( مليونين من الجنيهات ) . ثم حدث ما حدث ، ولم يكتمل الشراء ، ولم يدفع الريان باقي الثمن المتفق عليه في الأوقات التي حددها . وعليه يصُبح الشراء باطلاً ، وتُصبح تصرفات الريان في أمور الهلال باطلة . ويصبح المبلغ الذي أعطاه الريان للشيخ صلاح ، وهو مائة ألف جنيه ، أمانة في عنقه لا بد وأن يردها للمودعين في شركة الريان . وعليه أن ينتظر تصفية أموال شركة الهلال ، ووقتها يحصل على حقه مع غيره من المودعين أو المقرضين ، متحملاً نصيبه في قسمة الغرماء .

رابعاً : ما بال الشيخ صلاح يُخالف ما يدعونا إليه من إصلاح للدنيا بالدين . وقمة هذا الإصلاح في رأيه ، يتمثل في النأي بالأموال عن شبهات ربا البنوك . وأستثمارها إسلامياً ، حيث المشاركة في الغنم والغرم ، أي في الربح والخسارة . ما باله ( وهو الصادق مع نفسه دائماً ) ينأى بأمواله بعيداً عن الخسارة في أول تجربة ، وينزهاها عن النقصان في أول أستثمار . بينما المطلوب منه أن يُعطي المثل ولو على نفسه ، وأن يكون أول السابقين إلى تطبيق القاعدة . ولو فعل هو وأمثاله غير ذلك أو عكس ذلك ، لوجدنا عزراً للشباب المتطرف في تطرفه ، متمثلاً في أفئدة القدوة ، وتناقض أقوال " الأئمة " مع فعالهم .

خامساً : ذكر الشيخ صلاح في مقاله أن المائتي ألف جنيه التي أودعها في الهلال ، كانت من ( أرباحه ) نتيجة التوعية الدينية في الخارج . وهو نفس ما ذكره بالنسبة لسيارته المرسيديس الحديثة في حديث سابق . وليس فيما ذكره أي مدعاة للانتقاد ، بل لعل فيه ما يستحق التقدير . ذلك لأنه أحترم من يُقدر علمه ، ولا يبيعه أو يُذيعه بثمن بخس ، بل ويغالي أحياناً احتراماً منه لنفسه ولعلمه ولقيمته . بيد أنه من المتيقن أنه حصل على أمواله بالعملة الصعبة ديناراً أو ريالاً ، ثم أودعها بالجنيه المصري . فهل يا ترى حولها في المصارف الرسمية ، أم قايضها مع تجار العملة ، أستأداً إلى فتوى بحل تجارة العملة رغم تجريمها قانوناً ؟. وهل فعله هذا بمقاييس الدين الصحيح حلال أم حرام ، ليس في رأيه فقط بل، في رأي فقهاءنا الأجلاء ؟.

ما سبق لا يزيد عن كونه خواطر سريعة ، كتبتها على عجل ، حتى أناشد شيخنا الجليل أن لا يرفع الأمر إلى القضاء ، لأنه سوف يخسر ، ونخسر معه مكانة رفيعة في الزهد والتقوى ، وأسما يُقدّره جيراننا حق قدره ، وعلماً يُمثل مورداً من موارد العملات الصعبة لخزائنا الفقيرة ، وإماماً مناضلاً عن صحيح الدين في الخليج .

هداه الله وإيانا سواء السبيل ، وغفر له ولنا وللمسلمين .



## المقال الثاني: بالوثائق يا مولانا •

حزين أنا للموقف الذي وضعني فيه الشيخ صلاح أبو أسماعيل ، حين أنكر ما نشرته عنه في مقال " يا شيخنا الجليل إياك والقضاء " . ومبعث حزني هو اضطراري لنشر الوثائق التي تدّينه بإنكار الحقائق ، وتضعه أمام الرأي العام في موقف لا يُحسد عليه . فهو إن أنكر الحقيقة ، دمغته الوثيقة . وإن هتف بمقولته : تعالوا نصلح الدنيا بالدين ، أدانته فعّال هي بالدنيا ألصق ما تكون ، وعن الدين أبعد ما تكون . وإن أعلن في محاكمة الناجين من النار عن كفر من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، وجد نفسه في موقف من خالف مفهوماً من الدين بالضرورة . وإن دعا في مواعظه إلى التأسّي بمن كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . وجد نفسه بعد حديث الوثائق مؤثراً لنفسه على من بهم خصاصة . بيد أن عزائي فيما سأذكره أن تصرفات الشيخ ليست حجة على الإسلام ، ولا على علمائه الأفاضل ، ولا على نظرائه ممن يخلطون أوراق السياسة والإقتصاد والدين ..

### الآلاف التي ضلت الطريق

اعترضت على حصول الشيخ على مُجمل إيداعاته في الهلال بعد إفلاسها ، من أحمد الريان ، بعد عزمه على شراء الشركة ، مستنداً إلى إعلان الأخير عن رد نصف الإيداعات . ثم إعلانه بعدها عن رد الثلثين . ورد الشيخ مؤكداً أن هذه التقديرات كانت قبل تقييم أصول الشركة في قبرص ، ذلك التقييم الذي كفل له وللمودعين أن يحصلوا على أموالهم كاملة . ولا عبرة بحديثي ، ولا بحديث الشيخ الجليل ،

• نشر في جريدة الأخبار ، بتاريخ ٢ يناير ١٩٨٩ .

( ١٠٣ )

ولا بتصریحات الريان أمام الوثائق التالية :

#### ١- الوثيقة الأولى

قبل تقييم أصول قبرص ، بتاريخ ١ / ٤ / ١٩٨٨ ، توضح الاتفاق الذي تم بين أحمد الريان والمودعين على شراء شركة الهلال بشيكات قيمتها ٣١٤ مليون جنيه تعادل ( كما ورد بالاتفاق ) ٣٥% من قيمة الإيداعات ، مضافاً إليها قيمة الأرباح من ١ / ٤ / ١٩٨٨ . على أن يبدأ سداد الشيكات من ١٥ / ١٠ / ١٩٨٨ . وإجمالي المدفوع متضمناً الأرباح يُمثل ٤٠% من قيمة الإيداعات.

#### ٢- الوثيقة الثانية

توضح الموقف بعد تقييم أصول قبرص ، وفيها تم الاتفاق على رد ما قيمته ٢٥% من الإيداعات ، وذلك في ٣ / ٨ / ١٩٨٨ . وبالجمع بين الوثيقتين ، يتضح أن إجمالي ما تم الإتفاق عليه - شاملاً أصول قبرص - هو سداد ٦٥% من الإيداعات . وذلك على أقساط تبدأ من ١٥ / ١٠ / ١٩٨٨ .

بينما حصل الشيخ على أمواله ، وهي مائة ألف جنيه ، نقداً وعداً ، كاملة غير منقوصة ، وقبل استحقاق الدفع بشهور ، متضمنة خمسة وستين ألفاً هي حقه المؤجل ، وخمسة وثلاثين ألفاً ضلت طريقها إلى جيبه الكريم . بينما طريقها الصحيح هو الوفاء بحقوق صغار المودعين . وبعضهم يتامى ، وبعضهم أرامل ، وبعضهم لا مورد له إلا ذلك المال الذي ضاع بعضه بين الهلال والريان والشيخ .

## الحلال بين والحرام أبين

لا خلاف حول دعوة الإسلام إلى المساواة وإلى التكافل وإلى المشاركة في الغرم والغنم . ولا خلاف حول أن محك هذه القسيم هو التجربة العملية ، وليس الحديث المعسول ، والخطب المسموعة ، والمقالات المسجوعة . وليقارن القاريء بين ثلاثة أمور : أولها أقوال الشيخ ، وثانيها فعال الشيخ ، وثالثها ما تكشفه الوثائق الواضحة .

لقد ألح المودعون في الهلال على الريان ، أن يصرف لهم أي شيء من أموالهم لحين استحقاق شيكات الدفع . ووافق الريان على أن يصرف لهم ١% ( واحد في المئة ) من أموالهم بشيك تُوضح مضمونه الوثيقة رقم (٣) ، وهي إجمالي ما حصل عليه المودعون في الهلال حتى الآن .

واحد في المئة يا مولانا الجليل . وإذا طبقنا ذلك على إيداعاتك وهي مائة ألف ، فإن مقدار ما تحصل عليه إذا تساويت مع إخوتك من المودعين هو ألف جنيه لا أكثر ولا أقل . بينما حصلت أنت على المائة ألف كاملة . وفيها خمسة وثلاثون ألفاً لا نرضاها لك ، وإن رضيتها لنفسك . وأربعة وستون ألفاً تميزت بها عن غيرك ، وحصلت عليها وحدك ، وقبل الهنا بسنة كما يقولون . وهو عين ما ذكرناه لك وأنكرته ، من أنك غنمت وقت غرم الآخرين ، رغم شعارك وأشعارك عن تميز المشاركة عن فوائد البنوك . وكيف أنها غنم وقت الغنم ، وغرم وقت الغرم . وإن كانت فتواك الدينية قد أباحت

لك ما أبحث لنفسك ، فأنا مستعد أن أحسنكم معك إلى من تختار من الفقهاء ، لنسأله عن حكم الدين في هذا السلوك . ذلك لأن الحلال بين يا مولانا ، والحرام أبين .

وهناك ما هو أكثر

ونقصد به الأمر العسكري رقم (٤) ، والذي ألغى كافة التعاملات مع شركة الريان ، والتي تمت من يناير ١٩٨٨ . ومن بينها يقيناً ذلك التعامل الذي تم معك بعد ذلك بأكثر من أربعة شهور . وعليه يا مولانا ، فأنت مطالب بأن ترد المائة ألف كاملة لهيئة سوق المال ، لحين التصرف في أموال الشركتين ، الريان والهلال ، بما يُرضي الله ، ويُحق الحق .

وليس لنا في النهاية إلا أن نضرب صفحاً عن ذكر حقائق أخرى ، وعرض وثائق أخرى ، ونقل شهادة آخرين عن سبب رد الريان لأموالك . فربما أخذتك العزة بالنفس ، وحاولت الرد من جديد .

وتبقى كلمة أخيرة

وهي نداء مني إلى ضمير الرجل ، أن يُدرك أن الدنيا متاع الغرور ، وأن الأموال زائلة ، وأن الباقيات الصالحات خير وأبقى . وأن مكانته الدينية أكبر بكثير من آلاف ، ولو كانت بالمئات ، ربحها

(كما ذكر) من الإعلام في دول شقيقة . وذهب بعضها (عندما أفلست شركة الهلال ) على حد قوله في مقاله بجريدة معارضة . ولعل بعضها يبقى له حلالاً مباركاً . ولعله يتذكر معنا حديث الرسول إلى عبد الرحمن بن عوف ، وكيف أنقلت ثروته خطاه إلى الجنة ، وهو أحد كبار الصحابة . ولعله يتأسى معنا بزهد علي ، وتقشف أبي نر، وفقر عمار . ولعله يتذكر معنا كيف كان الرسول لا يشبع من أكل خبز الشعير يومين متتاليين . وكيف أسود لون جلد عمر من أكل الخبز بالزيت . وكيف ، وهذا هو المهم ، كان أجدر به أن يصمت فنصمت . ويكف فنكف . أغنانا الله وأغناه عن زينة الدنيا ، وحقوق الآخرين، وأموال صغار المودعين . ووقانا شر المكابرة في الحق ، والأمر لله من قبل ومن بعد ، والتصرف لهيئة سوق المال .

### • **المقال الثالث** : السكوت علامة الرضا

السكوت علامة الرضا . وقد سكت الشيخ صلاح أبو أسماعيل، متجاهلاً ما عرضناه من حقائق ، وما نشرناه من وثائق . وما كان له إلا أن يسكت . فالغرم على غيره من المودعين، وليس عليه . والنقود كاملة بحمد الله بين يديه . والناس في مصر تنسى بعد حين ..

نعم ، لقد صمت الشيخ مستجيباً لندائنا أن يصمت فنصمت . لذا لن يكون حديثنا عنه ، وإنما عن هيبة القوانين ..

• أرسل لجريدة الأخبار ، ولم ينشر .

القانون في مصر وفي غير مصر ، يوضع للجميع ، ومفروض أن يطبق على الجميع . لكن البعض يتصور (مُخطئاً) أنه يُوضع لصالح أصحاب النفوذ المحظوظين ، وأنه يُطبق فقد على الضعفاء المقهورين .

لقد صدر الأمر العسكري رقم ٤ ، مُبطلاً تصرفات شركة الريان من أول أبريل ١٩٨٨ . وقد تسلم الشيخ من الريان شيكاً بمائة ألف جنيه ، بعد الموعد المذكور . وأُعترف بذلك علناً في مقال منشور وبطلان التصرف يعني إعادة الحق إلى نصابه ، بإعادة المبلغ إلى أصحابه . بيد أن الرجل لم يفعل ، ولعله خاف من الحاسدين ، ولعله نسي أن القانون هو القانون . وأن الكل أمامه سواء . وأن ميزان العدالة لا يعرف الحصانة ، ولا يهتز أمام مولانا ، ولا يُميز بين رجال الدنيا ورجال الدين ..

اللهم لا تُزغ أبصارنا بعد أن هديتنا إلى قضية متكاملة الأركان ، بين الشيخ والريان . نُهديها حديثاً إلى الخاص والعام ، وبلاغاً إلى النائب العام . وهب لنا من لدنك يا رب رحمة ، إنك أنت الرحمن . وأرزقنا بالحلال ، وطهرنا من رجس المساس بأموال الآخرين . اللهم آمين .

## فتاوى آخر الزمان

**قصة المقال :** كاتب هذه السطور له موقف مُعلن ومعروف من حرب العراق وإيران، وهي حرب وطنية وحضارية بكل المقاييس ، وليست أبداً حرباً دينية بأي مقياس . وأسوأ ما أبنتليت به أمتنا هو دخول فقهاء الدين في ساحة السياسة ، وما ينتج عن هذا الدخول من آراء غريبة وأفكار شاذة، تُهمل فيما تهمل مشاعر الوطنيين وقداسة تضحيات الشهداء . ومن نماذجها ما أعلنه الشيخ الشعراوي من سجوده لله ( أبتهاجاً ) بهزيمة يونيو ١٩٦٧ . وما أفتى به الشيخ عبد الجليل شلبي ، ربما بكل حُسن النية ، وهي فتوى اعترف بأنها صدمت مشاعر ، وأصطدمت بعقلي . فكان هذا المقال ، الذي أرسلته لجريدة الأخبار ، ولم تنشره .

**المقال :** فتاوى آخر الزمان \*

تحت عنوان " الحرب العراقية الإيرانية دخلت عامها الثامن " كتبت جريدة الأخبار - الجمعة ١٨ / ٩ / ١٩٨٧ - ما نصه " الدكتور

---

\* أرسل لجريدة الأخبار ، ولم ينشر

عبد الجليل شلبي الأمين السابق لمجمع البحوث الإسلامية ، يتحدث بكل الأسى والمرارة عن هذه الحرب ، ويقول أن ضحاياها ليسوا من الشهداء . فإن أياً من الطرفين لا يُدافع عن الإسلام . وأولى أن ينطبق عليها قول النبي صلى الله عليه وسلم " إذا ألتقى المسلمان بسيفهما ، فالقاتل والمقتول في النار " .

وأضاف الدكتور عبد الجليل شلبي : أنه لا يشفع لأي من الطرفين أنه مكره . لأن المسلم إذا أكره على قتل بريء أو هتك عرض ، فإن هذا الإكراه لا يُبيح له هذا العمل ، لأنه حينئذ يفقدي حياته بحياة شخص بريء !! .

والمعنى واضح ، فحديث الشيخ معناه ببساطة :

١- أن أكثر من مائة ألف شهيد عراقي ليسوا شهداء ، بل إن مصيرهم النار .

٢- أن الواجب الإسلامي يُحتم على أفراد الجيش العراقي اعتزال الحرب دون احتجاج بإطاعة الأوامر ، لأنه لا إكراه في معصية .

٣- أن ما يفعله المحاربون الآن على خط النار لا يختلف - قياساً - عن موقف من يقتل بريئاً وهو مكره ، أو يهتك عرضاً وهو مكره ، فالجميع أثم .

٤- أن على أسر الشهداء العراقيين أن تقيم المآتم ، ليس لمصرع الأبناء ، بل لمصيرهم .



٥- أن على أسر المحاربين العراقيين أن تفرغ، ليس لهول الحرب ، بل لمجرد أشتراك أبنائها فيها . وأن تتأشد الأبناء ، ليس الصمود ، بل العدول والنكول . لأنهم أثمون في الحرب إن نجوا منها ، خالدون في النار إن لقوا مصارعهم فيها .

ومعذرة للشيخ الجليل ..

نعم ، معذرة لشيخنا الجليل ، الذي يعلم ما لا نعلم ، والذي تعلم ما لم نتعلم ، إذا ذكرنا له أن سنده لا يستقيم مع فتواه ، وأن قياسه لا محل له في فتواه . وأن فتواه في النهاية ، غير صحيحة . لأننا نرى الأمر على عكس ما يراه .

ولعلنا نحمد الله كثيراً على تركه لأمانة مجمع البحوث الإسلامية . لأنه لو أفتى بما أفتى وقت توليها ، لأصاب منصبه الجليل من رذنا رذاذ . ولا يحسبن الشيخ الجليل أننا نحتد في العبارة ، أو نتزيد في القول . فلحديثنا سند ، ولفجواه منطق ، ولقياسه أساس . وهو أمر جد مختلف عن حديثه الحافل بالهول ، المفزع بغريب القول ، الخارج علينا بما ناباه عن علم ، وما نرفضه بعد تمحيص ودراسة ..

ونبدأ بالسند ..

يستند الشيخ الجليل إلى حديث الرسول الكريم " إذا أقتتل المسلمان ، فالقاتل والمقتول في النار " . والحديث بنصه السابق لا يجوز تعميمه في شأن الأختلاف بين طوائف المسلمين أو دولهم .

لأننا لو فعلنا - كما فعل الشيخ الجليل - لفتح ذلك علينا باباً من أبواب الجدل والفتنة ، لا نملك ولا يملك الشيخ الجليل إغلاقه .  
ناهيك عن الرد على أسئلة دون القاريء - وقبل ذلك الشيخ - بعضاً منها :

- ألم يكن الفريقان في موقعة الجمل من خيار المسلمين ؟ . ألم يكن على رأس الفريق الأول علي وعمار وأبن عباس ، وعلى رأس الفريق الثاني عائشة والزبير وطلحة ؟ . ألم يقتل حتى سالت الدماء أنهاراً وحتى قتل من الفريقين أكثر من عشرة آلاف، منهم كثيرون من خيار الصحابة وكبار التابعين ؟ . هل كل القتل في النار ؟ . وهل كل المقتولين في النار ؟ . وهل عمار في النار ؟ . وهل طلحة في النار ؟ . وهل الزبير في النار ؟ . أحسب أن الشيخ لن يجيب . ولو أجاب لأجبناه ، ولو رد علينا لحاججناه .

- ألم يكن الفريقان في معركة صفين من خيار المسلمين وكبار الصحابة والتابعين ؟ . هل كل القتل والمقتولين في النار ؟ . أحسب أن الشيخ لن يجيب ، ولو أجاب لحاججناه .

- ألم يقتل المسلمون في كربلاء ؟ . ألم يسقط آل البيت صرعى وشهداء ؟ . قوتلوا وقتلوا ، قتلوا ( بفتح القاف والتاء ) وقتلوا ( بضم القاف وكسر التاء ) . وأحالوا علينا سؤالاً ، نحيله إلى الشيخ الجليل : هل القتل جميعاً في النار ؟ . وهل القتل جميعاً في النار ؟ . وهل يتساوى هذا مع ذلك ؟ . وهل يخلد هذا وذاك في عذاب جهنم ؟ . أحسب

أن الشيخ لن يجيب .

هو سند لا يصح تعميمه إذن ، وإنما يجب حصر معناه في قتل الفرد المسلم للفرد المسلم في ديار الإسلام . حيث أرواح المسلمين حرام على المسلمين إلا بحققها ، قصاصاً أو حداً . أما أن يُطلق المعنى بلا حدود ، ويحكم به الشيخ في بساطة ويسر على أحوال الشعوب ومصائرهما ، فلنا في هذه الحالة أن نراجع الشيخ وفي حلوقنا غصة ، وفي نفوسنا ألم ، وفي قولنا مرارة . قائلين له حاذر ، فأنت تركيب مركباً صعباً ، وتحمّل الحديث معنى لم يرد ، وتُقحمه حيث لا يجوز ، وتستتبط منه ما لا يستقيم ، وتورد من يستمع لقولك فيظنه صواباً ، مورد التهلكة .

وننتقل إلى القياس ..

حين يقتل المسلم العراقي مسلماً إيرانياً ، يهاجمه في عقر داره ، ويستبيح دياره . ويستجيب لفتوى إمامه الخميني بأن جند العراق أسرى ، وأن أرض العراق غنيمة . وأن حكام العراق كفرة ، وأن نساء العراق سبي ..

حين يفعل الجندي العراقي ذلك مدفوعاً بحميته ، ووطنيته ، مأموراً بالدفاع من قادته ، يخرج في رأي الشيخ على قواعد الإسلام . لأن واجبه الإسلامي في تقدير الشيخ أن يرفض الأمر ، وأن يحمله على محمل الإكراه على قتل الأبرياء أو هتك الأعراض .

تُرى هل أتجاوز الحد ، إذا نكرت لشيخنا الجليل أن قياسه فاسد .  
وأنه لو فكر قليلاً ، وتدبر الأمر قبل إطلاق الفتوى ، لما دفعنا إلى  
سؤاله عما ترك لمن يفتون بغير علم ، ويقسون بغير دليل ، ويحكمون  
بغير سند .

وتبقى الفتوى ..

جل من لا يُخطيء يا شيخنا الجليل . ولعلها كبوة جواد عظيم ،  
وهفوة عالم كبير . ولعل تواضع العلماء ، يدفعك إلى أن تسمع منا .  
وما مُضرك لو سمعت منا قولاً نراه حقاً ، ونراك أهلاً لسماعه ،  
وجديرًا باتباعه ، لا لشيء إلا لأن الحق أحق أن يتبع ؟

إن الدفاع عن الأوطان يا شيخنا ، إسلام في إسلام . ولا يشفع  
لمن يهاجم أوطاننا أن يكون مسلماً أو غير مسلم ، صادقاً في دعواه  
أو مدعياً في صدقه . إن حماية الرجال من الأسر ، والنساء من  
السبي ، والثروة من النهب ، إسلام في إسلام . ولا يشفع للأسر أو  
للسابي أو للناهب ، أن يرفع مصحفاً . أو أن تزين رأسه عمامة . أو  
أن تعلق جبهته زبيبة صلاة . إن من ينشر دعوته بالسيف لا بالتي  
هي أحسن ، وبالغنف لا بحسن القول ، وبالرصااص لا بالحسنى ،  
جدير بالرد عليه من جنس فعله . لا تحميه منا عمامة سوداء ، أو  
عصابة على الرأس تحمل اسم الشهداء . إن من يُقصر في حماية  
أرضه وعرضه وماله من المعتدين ، غير جدير بحمل صفة الإسلام ،  
ولا أسماء المسلمين . إن من يقتل المعتدي ، لا يتساوى مع هاتك

العرض . ومن يموت نوداً عن أرضه وعرضه شهيد . ومن يخرج مجاهداً في سبيل الحضارة وحق الإنسان في الأمان ، وحدود الأوطان ، لا يدخل النار . والأحرى بالنار من يهرب أمام نار المعتدين ، ومن يفر من الدفاع عن أرض المسلمين .

ويبقى الأهم ..

قلنا كثيراً لا تخطوا أوراق السياسة بالدين . وحسبكم أن تملونا على صحيح الدين وصواب العقيدة ، وأن تنزهوا الدين عن مزلق السياسة وفعال الساسة . حيث لا عاصم إلا حسن التفكير ، وسلامة المنطق ، وحق الأوطان ، ووحددة المواطنين . ونعيدها مرة أخرى بعد أن زادت الفتوى السابقة يقيناً فوق يقين .

وأخيراً ..

من يصدق ما يحدث على أرضنا الطيبة ؟. يدفع الشباب العراقي حياته فداء لوطنه ، ودفاعاً عن البوابة الشرقية للأمة العربية . وبدلاً من الترحم عليه وتمجيد بطولاته ، وتخليد ذكراه ، يتطوع البعض بنفي الشهادة عنه وإرساله للنار ؟. وتبشير السائرين على دربه بعذاب سقر ، ومقارنتهم بهاتكي الأعراض ؟. في أي زمان يا تُرى نعيش ؟.

## زواج المتعة بين السعد والريان

**قصة المقال :** هذا أحد أقصر ما كتبت من مقالات . فقد صحونا يوماً فإذا بالصفحة الأخيرة في كل الجرائد الصباحية ، مزدانة بإعلان مثير عن اندماج العمالقة : السعد والريان . وهما أكبر شركتين لتوظيف الأموال . وبعد أيام أرسلت هذا المقال القصير . وعندما قرأه المشرفون على التحرير ، كانت بعض نبوءات المقال قد تحققت . فقد تراجع طرفا الاندماج عن عزمهما . والآن وبعد شهور تحققت البقية . ولعل المقال كان أول إشارة إلى ( النصب ) وإلى ما حدث لبعض أصحاب شركات توظيف الأموال بعد ذلك . تماماً كما ورد في آخر سطر من المقال .

لم يكن مقالاً إنبن .. بل كان نبوءة ..

**المقال :** زواج المتعة بين السعد والريان

هو زواج متعة لا ريب ، لأنه في اعتقادنا إلى أجل . بل إلى أجل

---

\* أرسل للأهلي، ولم ينشر ، حيث تجاوزته سرعة الأحداث .

قريب . ولأنه لا يتوافر به ما يتوافر للعقد الشرع من شروط . فلا تأسيس لكيان قانوني جديد ، ولا تصفية لكيان قديم ، ولا إخطار لمصلحة الشركات ، ولا إعلان لمصلحة الضرائب . وكلاهما ولي أمر شرعي لطرفي التعاقد . ولا تحقق من الإيجاب والقبول لدى المساهمين ، والأمر كله لا يزيد في تقديرنا عن نظرة عين هنا ، أصابت بسهامها كبدا هناك . وإذا بالبشرى تزفها إلينا حرارة القبلات . بينما تُتشي النظرات بلواعج ، لا تدري أهي الهوى أم الجوى ، أم الرضا بما تم ، أم الترقب لما هو آت .

أغلب الظن ، وبعض الظن إثم ، أن الأمر قد اقتصر على قراءة الفاتحة ، وعلى الاتفاق على حملة إعلانية ناجحة . وأن أوراقاً كُتبت عليها أسم السعد ، تم خلطها بأوراق كُتبت عليها أسم الريان ، فأختلط الأسمان . وأصبحت كل شركة في خبر كان . وخبر كان منصوب ، والنصب له أشكال وألوان .

كيف يحدث هذا في مصر ، وفي حق مساهمين بمئات الألوف ، ومساهمات بالمليارات؟ . فيعلن عن الزفاف ، بل عن الرفاء والبنين ، دون أخذ رأي المساهمين ، ودون أخذ موافقة السلطات . ودون إجراءات ، ودون ما هو ضروري ومطلوب من الروتين؟ .

الحمد لله الذي أحيانا لهذا اليوم ، حتى أرى العوائق تُزال ، والحواجز تتحطم ، والروتين يُنسف ، والمساهمين يُهملون ،

والمليارات تُدار بالقبلات ، والمُودعين ينذهلون بالمفاجئات ،  
والحكومة في سبات ، والكل سعيد بالإعلانات ، متيقن مما هو آت ،  
يوم يفر المرء من أخيه ، وشريكه ومودعيه . لكل إمريء يومئذ همُّ  
يكفيه ، أو مكان أمين يؤدع فيه .



## كان درساً عظيماً يا إمام

**قصة المقال :** في ليلة هادئة من ليالي الصيف ، كانت إحدى الفرق المحلية المتواضعة ، وهي فرقة ساحل سليم المسرحية ، تستعد لعرض مسرحية ( أخلاقية هادفة ) في قرية كودية الزار بمحافظة أسيوط . مستخدمة أنوات بسيطة ، مثل طاولات البيع المستخدمة في الأسواق ، كخشبة مسرح . وملاءات الأسرة كستارة . وبعض كراسي المقاهي كمقاعد للمتفرجين . وعلى الناحية الأخرى من الترتيب ، تجمع المجاهدون من أعضاء الجماعات الإسلامية ، في أحد المساجد ، ومعهم الميكروفون ، الذي أعلن من خلاله أمرهم ، فتوهم الشرعية بحرمة التمثيل . وكفر من ألف المسرحية ومن أخرجها ، ومن مثلها ، ومن رآها . وفي لحظة محددة ، غمز بعينه ، فأرتفع هتاف أحدهم : لا إله إلا الله . النقافة عدو الله . ذلك الهتاف الذي قاد المسيرة المسلحة بالجنازير والأسلحة البيضاء وغير البيضاء . ولم يكن ثمة مفر من استدعاء الأمن ، وسقوط بعض الجرحى والقتلى من الجماعات . وبقينا فقد شمل كشف الضحايا آخرين ، منهم المسرحية التي تُمثل ، والفرقة التي أصابها الرعب ، والممثلة الوحيدة

التي أنهالت على خنودها لطمأ ، وهي تلحن اليوم الأسود الذي قاد قديمها إلى ما يمت للثقافة بصلة . ووسط ردود الفعل الغاضبة من المثقفين والفنانين في القاهرة ، تفرد عادل إمام ، أكثر النجوم شعبية وشهرة ، بموقف لن ينساه له التاريخ .

فقد أعلن عادل إمام عن عزمه على تمثيل مسرحيته "سيد الشغال" دون أن يُغير من مواقفها موقفاً ، أو من حروفها حرفاً ، في عاصمة محافظة التطرف ، أسيوط . فظن الجميع أنه يتحدث بمنطق أنه ليس على المتحدث حرج ، وحاول محبوه تحذيره . فكان رده : جمهوري سوف يحميني . وفي يوم العرض ، خرجت أسيوط لكي تُحيي موكبه في الذهاب إلى المسرح وفي العودة منه ، كما تُحيي الجماهير في أي مكان بطلها القومي .

وقد شارك شخصي المتواضع في تحية هذا الفنان العظيم ، بهذا المقال . وشاعت جريدة الأهرام الأتتشره .

### **المقال : كان درساً عظيماً يا إمام \***

وأخيراً تصدى الشعب، دفاعاً عن وجدان الأمة وفكرها ، ورد على الخنجر بالكلمة ، وعلى الجنزير بالبسمة ، وعلى الردة بالفن . وما أشبه القطار الذي حمل فرقة الفنانين المتحدين إلى أسيوط ، بقطار الرحمة الذي عاصرناه صغاراً . وما أجدنا جميعاً بأن

---

\* أرسل لجريدة الأهرام ، ولم ينشر .

نستوعب درس ما حدث في أسيوط .

الدرس ببساطة يؤكد ما ذكرناه ، وكررناه دائماً ، وهو أن الجهل يتقدم بقدر خوف العقلاء . والردة الحضارية تقوي بقدر تراجع المتحضرين . والعناصر الظلامية تُصبح عالية الصوت ، عندما يخفت صوت المتورين . قلنا هذا ، وأثبتته فرقة الفنانين المتحدين حين فعلت العكس . فعلا صوت العقل ، وأنتصر صوت الحضارة ، وأرتفعت رايات النور والتوير .

الدرس ببساطة ، أن الأغلبية بخير ، وأنها حين يجدّ الجد تُعطي صوتها لكل ما هو جميل ونبيل وأصيل وحضاري . والمشكلة أنها أغلبية صامتة . ولكن دور الرواد أن يحركوا هذه الأغلبية في مسارها الطبيعي ، للأمام ومن أجل المستقبل . وقد أثبتت جماهير أسيوط صدق ما توقعناه . حين تحركت ، فأختفت خفافيش الظلام ، وسكن صوتها ، وداست الجماهير بياناتها بالأقدام .

الدرس ببساطة أن قليلاً من الشجاعة يصلح الوطن . وقد كان عادل إمام شجاعاً ، وقبله الدكتور هاشم فؤاد <sup>(١)</sup> شجاعاً . وقبلهما كان مصطفى مرعي <sup>(٢)</sup> شجاعاً . والشجعان يحتمهم الشعب ، ويضعهم في حبات القلوب ، ويجدون مكاناً رحباً في سجل التاريخ . والتاريخ خير حافظاً ، وهو أعظم المقدرين . فقد واجه الرسول أبا جهل وهو زعيم

---

(١) العميد السابق لطب القاهرة ، وصاحب المواقف الشجاعة في مواجهة التطرف والمتطرفين .

(٢) شيخ المحامين ، وأحد أقطاب الجهاد الوطني ، وأحد أساتنتي .

الكثرة الغاشمة ، فأين أبو جهل من مواطن أقدام الرسول ؟. وواجه بولس نيرون وهو امبراطور الدولة الرومانية وحاكمها الأوحده ، فأين نيرون من بولس ؟. وواجه أثناسيوس اضطهاد الرومان في مصر ، وحاول أحد مربيه أن يُثبته قائلاً : العالم كله ضدك يا أثناسيوس . فكان رده البليغ : وأنا ضد العالم . وكان أن عاد أثناسيوس إلى كرسي البابوية ، وحفظه تاريخ المسيحية ركناً من أركان الإيمان والعقيدة . وواجه الحسين يزيد بن معاوية وهو الخليفة ، والدنيا والسلطان ، فأين يزيد من الحسين ؟. وأين الأمويون اليوم من شيعة الحسين ؟. وواجه جاليليو مجمع الكهنة حين أنكروا دوران الأرض حول الشمس ، فأين هم الآن من جاليليو ؟. ومن يذكرهم اليوم إلا بالإستهزاء ؟. ولست أشك في أن درس أسيوط سوف يكون ميلاداً جديداً لمزيد من الشجاعة والشجعان . ولست أشك أيضاً في أن هزل الصبية ، سوف يستحيل إلى زيد يذهب جفاء . وأن الإيمان بالله والوطن ، سوف يمكث في الأرض .

ويا عزيزي عادل ، سألني العشرات كيف يتصلون بك ، وينقلون مشاعرهم إليك . فكان ردي أنك مؤمن بأن ما فعلته أنت وأعضاء فرقتك العظماء ، لا يزيد عن كونه واجباً عليكم في زمن عز فيه أداء الواجب ، وحقاً أدبتموه للوطن . فحق للوطن أن يُحييكم ويحميكم ، ويشد على أيديكم ، ويردد معي ما عنونت به المقال : كان درساً عظيماً يا إمام .

## ورب حجارة نافعة \*

( تعليق على حديث الشيخ الشعراوي )

معترض أنا بشدة على هجوم البعض على تصريحات الشيخ الشعراوي الأخيرة<sup>(١)</sup> . ليس لأنني أقبل تصريحاته ، وليس أيضاً لأنني أرفض حجج مهاجمينه ، وإنما لسبب بسيط نلمحه خلف سطور النقد أو الهجوم . وهو توقع الناقد أو المهاجم لصواب مقولات الشيخ الجليل ، ليس في ساحته فقط ، وهي ساحة الدين ، تلك التي تعلمنا أنه لا عصمة لأحد فيها . بل أيضاً في كل الساحات ، سواء كانت ساحة الطب أو ساحة الفن أو ساحة الرياضة أو ساحة السياسة أو غيرها . وربما كان سبب ذلك ما يتصوره البعض من شمول الدين لكل هذه القضايا . وهو فهم محدود للدين ، تنفيه حقائق الدين والتاريخ معاً . ولعل حديث الرسول العظيم إلى معاذ بن جبل ، حين ولاءه على اليمن ، شاهد لا يكذب على ذلك . فقد سأله الرسول كيف سيحكم؟ . فأجابته

---

\* نشر في مجلة طبيبك الخاص - دار الهلال .

(١) كان رأي الشيخ أن تدخل الطب في حالات الأزمات القلبية ومرضى الفشل الكلوي ، تدخل غير مستحب في الإسراع بلقاء المرضى بالله .

بكتاب الله . فقال له الرسول ، فإن لم تجد ( وضع تحت هذه عشرة خطوط ) فقال فبسنة رسوله . فقال الرسول ، فإن لم تجد ( وضع تحت هذه عشرة خطوط ثانية ) فقال أجتهد رأيي ولا ألو ( وضع تحت هذه عشرة خطوط ثالثة ) . فدعا له الرسول بخير .

الشاهد هنا أن الرسول يُوضح صراحة أن هناك أموراً تخص الدنيا، قد لا يجد لها معاذ دليلاً أو سنداً في كتاب الله ولا في سنة رسوله . وأن الرسول قد سعد كل السعادة ، حين أخبره معاذ أنه سوف يُعملُ عقله ، وسوف يستخدمه في الأجتهد ، وسوف يُجهد نفسه في ذلك ولا يقصر .

ثمة أمور هنا لا بد وأن نتوقف عندها . وأولها أن الحديث يخص اليمن ، وفتح اليمن كان في نهاية عمر الرسول . وثانيها أن معاذاً قد يجد أموراً لا سند لها في الكتاب والسنة في عصر الرسول نفسه ، فما بالك بعصرنا بعد أكثر من أربعة عشر قرناً؟ . وأين؟ . في اليمن ، أي داخل الجزيرة العربية . فما بالك بما يمكن أن يحدث في قطر آخر ، ذي زرع ، وذي حضارة ، وذي تاريخ ، وذي عقائد سابقة وضاربة في أغوار التاريخ؟ . أما آخر الدروس وأبلغها ، فيتمثل في سعادة الرسول بإعمال العقل . وهو بالقياس في عصرنا الحديث ينصرف إلى التقدم الفكري والعلمي .

هنا لا مفر من أن نجد أنفسنا أمام مفترق طريقتين : أولهما يتمثل في الفهم الحرفي للنص . وثانيهما يتمثل في إعمال العقل في الفهم ،

والأستدلال المنطقي في التفسير . وهنا ينتصر الفريق الأول لتفسير الآية الكريمة " وما فرطنا في الكتاب من شيء " ، على أنها دلالة على أن القرآن الكريم لم يكن كتاباً في الدين والعقيدة أساساً ، وما يتصل بهما من شئون الحياة . بل هو أيضاً كتاب في الفن العسكري ، والعلم الطبي ، وأصول الكيمياء والفيزياء والذرة والهندسة وغيرها . بينما يربط الفريق الثاني بين الآية الكريمة وبين حدث معاذ ، بل وبين كثير من وقائع السنة الشريفة . فيقصر تفسير الآية على استكمال الدين وتمام العقيدة . ويحمد الله على ذلك كل الحمد . وينطلق بعقله فيما هو خارج ذلك إلى ساحة العلم مسلحاً بأسلحته . وهي العقل والمنطق ، والتجربة والخطأ ، والملاحظة ، والأستنتاج . ويفتح على الحضارة ، فينهل منها . وعلى العلم ، فيستوعب فتوحاته . وعلى الأكتشافات ، فينقل أحدثها . وهو راض عن ذلك كل الرضا . دون محاولة محكوم عليها بالفشل مسبقاً ، لربط كل شيء وأي شيء بأصل ديني . حتى ولو اقتصر الأمر على المسميات ذات الجرس الموسيقي المطرب ، والرنين الديني اللافت . فهذا طب إسلامي وذاك طب نبوي . وهذا علم القوارير وذاك علم الأحاجي . وهذا هو القرآن يُشير إلى أحد أحدث مجالات الأبحاث ، وهو مجال الذرة . متتاسين أننا نحن الذين ترجمنا اللفظ الأجنبي " Atom " إلى نظيره العربي " الذرة " . وكان ممكناً أن نسميها بأسم آخر ، وليكن المهموش مثلاً . بيد أننا كما تعودنا في دراستنا الأولية ، نكتب سطرأ ونترك سطرأ ،

ونذكر شيئاً ونتناسى أشياء .

أنصار المنهج الأول هم الذين أنزعجوا أشد الإنزعاج لحديث الشيخ الشعراوي . بينما أنصار المنهج الثاني ( وأنا بفضل الله واحد منهم ) لم ينزعجوا إطلاقاً . لأن ما حدث منطقي تماماً . فالرجل رجل دين واسع الشهرة ، وفقهه متميز بلا جدال . لكنه في مجال الطب أو السياسة ، مثل العبد لله في مجال الغناء أو التايكوندو . وقد اخترت الغناء لأنني مشهور في منزلي بأنني أهدد كل من يُخطيء بآثمي سوف أغني ، فليزِم الجميع حد الأدب والطاعة . وأخترت التايكوندو لأنني كنت أظنه نوعاً من الطعام الياباني ، إلى أن هداني الله ذات يوم فقرأت أنه رياضة مستحدثة .

تُرى ، هل يُعتبر التعقيب السابق على ضجة تصريحات الشيخ كاملاً وكافياً ؟ . لقد سألت نفسي هذا السؤال ، وكانت إجابة النفس على النفس ، أنني لم أستوف الموضوع حقه . لأن ما حدث لم يحدث في التليفزيون البريطاني مثلاً . فلو شاهد أحد البريطانيين أسقف كاتدربري يتحدث في الطب أو الهندسة مثلاً ، لمد يده إلى مؤشر القنوات وأداره إلى قناة أخرى . ولو وجد في القناة الثانية ما نجده أحياناً في مصر ، أقصد وجد أستاذاً في الطب يبسمل ويحوقل ويُخَي ما تعلمه في كلية الطب جانباً ، ويُلقِي موعظة دينية بليغة عن حكمة إيتاء الزكاة ، لأغلق التليفزيون أو أنهال عليه بالمطارق . لكننا في مصر ، والشيخ هو الشعراوي ، والمشاهدون هم الشعب ،



وأغلبهم من عشاقه . وأمّية القراءة متفشية، وأمّية الثقافة أكثر تفشياً .  
والموضوع هو الإسلام ، والفتوى بعيدة كل البعد عن الرحمة ،  
والإسلام كما نعرفه دين التراحم ، والرسول كما نقرأ عنه كان رحمة  
مُهداة .

أي مازق هذا الذي وضع الشيخ المشاهدين أمامه ، وأي مازق  
وضعنا الشيخ فيه، ونحن نعلق على أقواله ؟. وكيف السبيل إلى الرد  
على ما أورده الشيخ ، والبعض يتصور أن الرد على الشيخ رد على  
الإسلام . وأن أنتقاده أنتقاد للإسلام . وأن الهجوم على آرائه هجوم  
على الإسلام ؟. وأن بعضاً من المفكرين أو الكتاب يتصورون نتيجة  
لهذا كله، أن الشيخ وآراء الشيخ منطقتان محرمتان على النقد  
والإقتراب . ونحن بحمد الله لسنا من هذا الفريق ، ومنهجنا مع الشيخ  
وأي شيخ ، أن ما يقوله رأي في الإسلام ، وليس الإسلام ذاته  
بالضرورة . ورحم الله أبا حنيفة ، الذي سأله تلميذه يوماً ، هل ما ذكرت  
هو الصواب الذي لا يقبل الخطأ؟. فكان رده العظيم : والله لا أدري ،  
لعله الخطأ الذي لا يقبل الصواب .

ليكن الأمر على هذا النحو إذن . أخطأ الشيخ ، وقال رأياً هو  
رأيه، وليس بالضرورة رأي الإسلام . بيد أن ما قاله لم يكن خطأ  
كله، ولعله لم يخل من فائدة .

نعم .. إن مرضى الفشل الكلوي ، ومرضى الحالات الخطيرة التي  
تستدعي نقل الأعضاء ، ومرضى الأمراض الميئوس منها وغير

المعروف علاجها الكامل حتى الآن ، والمرضى الذين يُنقذهم نقلهم إلى غرف العناية المركزة - يزيدون عن مليون مواطن في مصر .. ولو أخذنا بفتوى الشيخ ، وليعذرني هؤلاء جميعاً فلست أرى رأيه ، وإنما أحاول الأستطراد مع منطقته ، وأقول لو أخذنا برأيه ، لفقدنا مليون مواطن سنوياً . ومادامت نسبة الزيادة السكانية في مصر حوالي ٣% أي حوالي ٥١ مليون مواطن ، فإن وفاة مليون مواطن بفضل فتوى الشيخ الجليل ، أمر يهبط بنسبة الزيادة السكانية من ٣% إلى ١% فقط . وهكذا أخطأ شيخنا الجليل في مجال الطب، وأفاد في مجال الإسكان . وأنجز في حديث واحد ما لم يُنجزه جهاز تنظيم الأسرة في عشرين عاماً . وهي عبقرية لا بد وأن نحمدها للشيخ الجليل . ورب ضارة نافعة !.

## أسئلة جائرة \*

شيء رائع أن يتوجه الآلاف إلى صلاة العيد ، وأن يحتشدوا لسماع خطبة العيد من أئمة مشهود لهم بالعلم والفقہ والدين . وشيء متوقع أن يسمع المصلون موعظة دينية لا يختلف أحد معها أو عليها . وشيء غير متوقع وغير منطقي وغير مستحب ، أن يستغل أحد الأئمة هذا الحشد ، لكي يعرض رأياً هو رأيه ، وليس رأي الإسلام . وأجتهداً يثير الخلاف والفرقة ، حيث يجب الأتحاد والألفة . وهو إذ يفعل يضيف على رأيه وأجتهداه نقل المنبر الذي يقف عليه ، وهيبة الموقف الذي يقفه ، وقداسة الدين الذي يتحدث باسمه .

والأمثلة في يوم العيد الأخير كثيرة ، وأوضحها ما أعلنه أحد الأئمة من أن شعار القومية العربية ، وراءه مخطط صهيوني غربي . وهو ما لا يزعم أحد أنه إجماع المسلمين أو إفتاء الدين . وأقصى ما يُوصف به أنه رأي قد يراه البعض ، ويختلف معه الكثيرون . وأنه يُثير الخلاف والفرقة في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى الإجتماع والإجماع . ويثير أيضاً أسئلة جائرة ، أحدها عن موقف المسلمين

---

\* أرسل لجريدة الأهرام ، ولم ينشر .

من فتاوى كبار الأئمة الذين باركوا القومية العربية، وساندوا وحدة الصف العربي، وقت أن ارتفعت دعاوى الوحدة والقومية في الستينات. وما ذلك العهد ببعيد.

وثانيها عن موقف أجيالنا الصاعدة من زعماء، قد نختلف معهم وقد نتفق. لكن أحدا لا يملك أن يفهم بالعمالة لمخطط غربي صهيوني، إلا إذا تعسف أشد العسف، ولوى عنق الحقائق لئلا يقبله منطق أو ضمير وطني أو وجدان ديني.

وثالثها عن موقف المختلفين مع رأي الإمام، والجالسين أمامه في خشوع. لمنبره وليس لرأيه، ولدينه وليس لأجهاده. وهل مطلوب منهم أن يتركوا الصلاة رفضاً لمقولته، أو يرفعوا الشعارات استنكاراً لرأيه، أو يعتلوا منبراً مواجهاً لتقنيده زعمه؟ وهل هذا هو المكان المناسب للاختلاف، وهل ضاقت سبل الموعظة الدينية وساحة الأمر بالمعروف، وما أجله، والنهي عن المنكر، وما أكثره؟ حتى نقفز فوق ذلك كله بحثاً عن الاختلاف في الفروع وليس الأصول، وتعميقاً للتشتت والفرقة ليس حول قاعدة دينية، بل حول رأي شارده مكانه منابر الأحزاب السياسية، وساحته صفحات الصحف والكتب والمجلات، وموقعه في شئون الدنيا باليقين، حيث المساحة واسعة للرأي والرأي الآخر، والساحة متاحة للخلف والشك واللايقين؟

ما سبق كان أسئلة حائرة، أضيف إليها سؤالاً آخر يخص ما

طالعنتنا به إحدى الصحف ، عن عزم وزارة الخارجية تعيين ملحق ديني في كل سفارة . ويأتي ذلك في الوقت الذي ترتفع فيه الأصوات مُطالباً بترشيد الإنفاق ، وترتفع فيه الشكاوى من أزدحام السفارات بمن لا يقومون بواجبهم في رعاية مصالح المصريين ، ومتابعة مشاكلهم وشكاواهم . ويحدث أيضاً بالتوازي مع دور الأزهر في إرسال الدعاة إلى أرجاء المعمورة . وهو الأمر الذي يُثير لدي أسئلة أتمنى أن لا تظل حائرة عن الدور المطلوب من سفاراتنا المصرية . وهل قامت به حتى نضيف إلى أنوارها دوراً وإلى أعبائها عبئاً . وعن ترتيب الأولويات في الخارجية المصرية ، وهل يدخل نشر العقيدة الدينية ضمن هذه الأولويات ؟. وعن وظيفة الملحق الدبلوماسي الديني ، وهل هي موجودة في أي سفارة من سفارات العالم ، حتى سفارات الفاتيكان وإيران ، أم إنها بدعة أملاها علينا توافر الأموال واتساع الحال ، والإستجابة لمزايدات البعض ؟. وأخيراً فلعلها مساهمة متواضعة من وزارة الخارجية في حل أزمة البطالة ، شفيعها حُسن النوايا وسلامة القصد .

## مصرنا بخير \*

في أسبوع واحد ، علمنا شعب مصر العظيم ، أربعة دروس بليغة، تُثبت للقاريء أن شعبنا أرقى بكثير مما نظن ، وأكثر أصالة مما نتوقع ، وأنبل كثيراً مما نتصور . أما الشهامة والوفاء ، فحدث ولا حرج .

### الدرس الأول

مساء الجمعة الحزين ، حدثت فجيرة الرحلة المدرسية . وما أن شعر سكان منشية البكري بأن هناك أطفالاً مصابين بمستشفى الحي، حتى هرعت طوابير المتطوعين بالدماء . بل إن شئنا الدقة طوابير الوفاء ، لا فرق بين شيخ وفتى ، أو رجل وامرأة ، فالكل سعيد بالعطاء . أسف أن اعتنروا له بأسباب تتعلق بحالته الصحية . حدث هذا دون دعوة أو نداء . وأنهالت المكالمات على المستشفى بالاكْتفاء . ويتركون أرقام الهاتف للاتصال بهم في أي وقت ، عليهم يشرفون بالمشاركة والقداء . ووسط هذا الموكب النبيل ، علمت سيدات المنطقة بمصرع بعض الأطفال ، والتقطت آذانهن صراخ الأمهات النكالي . فلبسن السواد، وهرعن إلى حيث تصرخ الأمهات ، للبكاء

• نشر في جريدة الأهرام .

معهن ، والصراخ من أجلهن . وإذا بالأم الثكلى تجد نفسها في صدر باكية لم ترها يوماً ، وإذا بدموعها تنوب في شلال من دموع المواسيات . وما أروع لحظة الألم العظيم ، التي جمعت الكل في واحد . وأعلنت أننا جميعاً أهل ، وإن أفرقنا شعباً ، أو اختلفنا أحزاباً ، أو تفرقنا أدياناً . وأنا لا نقل في العطاء الإنساني عن ذلك السائق النبيل ، الذي أنطلق بمركبة النقل العام إلى ساحة الكارثة ، وأنقل بالضحايا في سرعة البرق إلى المستشفى . ملتاعاً لصراخهم ، باكية لبكائهم . يا له من بكاء عظيم ، وباله من إنسانية صادقة ، ورحمة دافقة . وباله من درس يدفع القلم إلى عجز ، والكلمة إلى قصور ، والذهن إلى تساؤل : في أي مكان يا ترى غير مصر ، يحدث هذا كله ؟ . وأي كلمات يا ترى تقدر على وصف ذلك كله ؟ . وأي أوسمة تليق بصدور هؤلاء البسطاء ، ممن لا نعرفهم ، ولن نعرفهم ، وليسوا في حاجة إلى أن نعرفهم . وهم في غنى عظيم عن الإشادة بهم ، أو الإشارة لما يحملون في حناياهم من جوهر أصيل ؟ .

### الدرس الثاني

يوم الأربعاء أعلن عن فوز مرشح برلماني بالتركية في إحدى دوائر الصعيد . والقصة تبدأ يوم توفي الوزير عبد الحميد رضوان ، وشعر الجميع بالحسرة على شباب رحل في العنفوان ، وعمر أنقضى قبل الأوان . وكأجراء روتيني ، أعلن عن خلو الدائرة ، وفتح الباب لقبول أوراق المرشحين . وهنا تجلت الأصالة ، ولمع للمعدن العظيم . حين تقدم ابن عم الراحل للترشيح ، فلم يتقدم أمامه أحد .

وأحجم الجميع تعبيراً عن الوفاء ، وتراجع الكل عن الترشيح مشاركة في العزاء . ولم يشذ منهم فرد ، ولم يخرج على إجماعهم حزب . وأن ينجح ابن العم في منافسة ، فهذا وفاء . أما أن ينجح بالتزكية ، فقل في هذا ما شئت ، وصفه بما هو جدير به ، وتساءل معي عن مكان آخر غير مصر ، يحدث فيه هذا العزاء النبيل .

### الدرس الثالث

مساء الخميس ، احتفلت نقابة المحامين بتأبين المناضل الوطني العظيم مصطفى مرعي . وأنكر يوم قرأت خبر وفاته ، أنني هرعت إلى عمر مكرم ، فلم أجد سراحاً للعزاء . واكتشفت السبب في اليوم التالي ، حين علمت أنه أوصى أن يُدفن بلا عزاء . وكان الرجل محقاً ، لأن سراح مصطفى مرعي ، هو حدود مصر . وعزاء مصطفى مرعي ، هو عزاء كل المصريين لكل المصريين . وفي النقابة ، سألت دموع الكبار وهم يتحدثون . وسألت دموع الحاضرين ، وهم يستمعون . وقيل فيه من الكلمات ما لم أسمعها في عظيم من قبل . ولم يكن الرجل حاكماً أو مسئولاً ، أو منضماً لجماعة أو منتصراً لحزب . لكنه كان منتصراً طوال عمره لقضايا الوطن . وفي يوم الوفاء ، وفي له الوطن . تأكيداً على أن مصر كانت ، وما تزال ، وستظل ، بلد الوفاء الجليل .

### الدرس الرابع

في نهاية الأسبوع ، كان موعد مباراة الأهلي المصري والهلال



السوداني على نهائي البطولة الأفريقية . ويوم فاز الأهلي بالبطولة من قبل ، أنتظرتة الجماهير في المطار بعد منتصف الليل ، وأحتشدت الجموع على جانبي الطريق تُحيي موكب الفريق البطل ، ولم تتم القاهرة ، ولم يهدأ صخب أبواق السيارات . غير أن شيئاً من هذا لم يحدث، رغم فوز الأهلي وإحرازه للبطولة هذه المرة. فقد فرح الجميع، ثم هدأ الجميع . لأنهم أدركوا بحسهم الأصيل أن المهزوم هو أحد أصحاب الدار . وأنه لا فرق بين أن يقبع الكأس في القاهرة ، أو يلمع في الخرطوم . وأن مشاعر الأخوة السودانيين تستحق الاحترام والأعتبار والإكبار ..

حدث هذا ببساطة وتلقائية ، ودون توجيه ، ودون فلسفة أو تحليل أو تعليل ..

وأخيراً ، من يصدق أننا تلقينا هذه الدروس كلها من شعبنا العظيم في أسبوع واحد؟ ومن يختلف معي إذا رددت ودموعي تجول في عيني : حقاً ، حسبنا اننا مصريون .

## وأنتصرنا في سيول \*

أخيراً ححص الحق . فقد أعلنت وكالة المخابرات الأمريكية في ميزانيتها المقدمة إلى الكونجرس ، أنها مولت عشرات المؤتمرات الإسلامية في أرجاء المعمورة في العام الماضي . ومعنى هذا بوضوح ، أننا نرى الإسلام غاية ، ويراها غيرنا وسيلة . وأننا نراه عقيدة ، ويراها غيرنا سفينة لأحلام السطوة والسيطرة والنفوذ . وأننا نستهدف رصيد الآخرة ، بينما يستهدف منه الآخرون رصيد الدنيا . وأننا نراه قرآناً وسنة ، ويراها غيرنا مؤتمرات ، ومؤامرات ، وتقارير مخابرات ..

الآن فقط أستطيع أن أفهم لماذا بناى البعض بمؤتمره عن القاهرة، ويذهب إلى لندن . وعن بغداد ، ويذهب إلى طوكيو . وعن الرياض ويذهب إلى سيول ..

الآن فقط أستطيع أن أفهم كيف تحولت لندن إلى ( سنتر ) إسلامي، بحيث لو أتى زائر من الفضاء ، لتصورها قبلة المسلمين . وأستطيع أن أفهم أيضاً، لماذا يسيطر الإيرانيون على المركز الإسلامي هناك،

---

• نشر في جريدة الأحرار .

ولماذا تتعالى في بريطانيا العظمى صيحات الجهاد ؟. وأستطيع أيضاً أن أفهم الحكمة العظيمة في عقد مؤتمر إسلامي كبير في طوكيو عاصمة اليابان ، التي يدين أهلها بالعقيدتين الشنتوية والبوذية ، ويندر أن تجد في أنحاءها مسلماً واحداً .

الآن فقط أستطيع أن أفهم تلك الغزوة الإيمانية الرائعة ، لبعض علمائنا الأفاضل ، الذين ذهبوا بكل حُسن النية ، أستجابة لدعوة مباركة كريمة مجانية، لمؤتمر إسلامي كبير في سيول . أعز الله به الإسلام ، وامتألت شرفاته برجال الإعلام . أو بمعنى أدق ، بمن يحملون شارات الإعلام . وجلس العلماء الأفاضل في القاعة الكبيرة المغلقة ، يرفعون عقيرتهم بنصرة دين الله . ويوقفون الجلسات لأداء شعائر الصلاة . وينظرون إلى منظمي المؤتمر الكرماء بعيون قلقلة . فلا يجدون في عيونهم إلا ترحاباً . والنظرة تتبعها نظرات ، والقلق تتبعه بسمات . ويصبح الجميع بعون الله أحباباً . وينطلق الأفاضل فوق منابر الخطابة في ثقة وأعتدال . لكي يقدموا أبحاثاً عن الحركة الإسلامية في بلادهم . وكلما وثقوا معلوماتهم ، كلما ازداد الوجد في عيون المنظمين . وكلما غاضوا في بطون بلادهم ، كلما طفر الدمع من عيون المنظمين . وكلما أمعنوا في رسم الخطط للحركات الإسلامية في المستقبل ، كلما تحول وجد المنظمين إلى عشق وصباية ، تشي بها العيون . وكلما أعلنوا أن المستقبل لهم ، صفق المنظمون ، ووقفوا أمام مقاعدهم إعجاباً وإكباراً . وكلما أوغل البعض في الحديث عن نجاسة دم البرغوث ، وأحكام معايشرة

الجان، وكيف تستقر الأرض على ظهر حوت، والحوت على صفاة،  
والصفاة على ظهر ثور . وكيف عطس الثور، فترزلت الأرض،  
فكانت الجبال . كلما ارتفع التصفيق والتهافت من صفوف المنظمين،  
وأطلقوا مهللين مكبرين ، وهنقوا - رغم أنهم لا يعرفون حرفاً من  
اللغة العربية - الله أكبر الله أكبر ، إسلامية إسلامية .

وأستطيع أن أفهم أيضاً كيف أنتهي المؤتمر بمفاجأة هائلة ، مثيرة  
مزلزلة ، حين أشهر رئيس المنظمين إسلامه ، ونطق بالشهادتين  
أمام المؤتمر ؟ . وكيف أعلن عالم فاضل جليل من فوق المنبر ، قوله  
الشهير الجهير ، موجهاً حديثه للمنظم التحرير : لو لم نفعل شيئاً إلا  
هدايئك ، ولو لم ننجز شيئاً إلا إسلامك ، لكفانا هذا فخراً . وأنتي  
أعلن أمام العالم كله أن "شي كاي شانج" قد أصبح اسمه من الآن  
فصاعداً ، "المقداد بن حلزة" وكنيته "شرحبيل" . وبين التصفيق  
والتهافت ، والأشواق والعناق ، والدمع والنشيج ، ينتصر الإسلام .  
ويُهدي رئيس المؤتمر إلى المقداد سيفاً اسمه "المقدام" . ويسأله أن  
يُغمده في صدر أعداء الإسلام . وأن يصحبه معه في قبره ، ليكون  
شفيعاً له أمام رب الأنام . وتتزلزل القاعة بالتهافت : الله أكبر الله  
أكبر ، إسلامية إسلامية ، لا شرقية ولا غربية . ويعود علماءنا  
الأفاضل ، تسبقهم دقائق الطبول ، ترف البشرية بانتصار الإسلام في  
سيول ..

أيها الإسلام العظيم ، كم من المؤامرات ، أقصد المؤتمرات ،  
ترتكبه باسمك ؟ .

## جن لما يركبك

طوال حياتي، وأنا اسأل نفسي سؤالاً ساذجاً لا إجابة له : لماذا تخصص الجن في ركوب أجساد بني عدنان وقحطان ، ولماذا لا نسمع عن أمريكي أو روسي أو ياباني ركبه عفریت من الجن ؟. ما أكثر ما طمأنت نفسي بإجابة منطقية ، وهي أن الجن في بلادهم من النوع الرومي ، الذي يركبه أبناء هذه البلاد ، ويُسخرونه من أجل التقدم، ويستخدمونه في المنافسة العلمية الشريفة . وآخر ما قرأته في هذا الشأن ، هو استخدام الأمريكان للجن في اختراع طائرة مقاتلة ، ترصد الهدف على بعد خمسين كيلو متراً، ثم ترسل قنابرها (أقصد قنابلها)، مُوجهة بأشعة الليزر، فتصيب أهدافها دون خطأ يتجاوز نصف المتر . وتخترق الدروع الخرسانة حتى عمق خمسة أمتار . وتصيب القابعين في مخبئهم، بصرف النظر عن ترديدهم للأناشيد الوطنية، أو نصبهم لحلقات الذكر ، أو قراعتهم للأوراد السلطانية . ثم تعود الطائرة من حيث أتت ، آمنة مطمئنة ، لأنها أدت مهمتها خارج نطاق ملاحظتها بالدفاعات الأرضية .

• نشر في جريدة الأهلي، بتاريخ ١٤/٦/١٩٨٩ .

إلى هذا الحد تقدمت هذه البلاد ، وإلى هذه الدرجة نعيش في واد ويعيشون في واد . فننشغل نحن بالتوجيه المعنوي ، والشعارات الوطنية، وتزيين الأستشهاد . وينشغلون هم بنوع آخر من الحروب، يستطيع أن يكسبها المرتزقة ، ويديرها ( الهيز ) بشرط واحد ، هو إجادتهم لعلوم الكمبيوتر وإجادتهم لأستخدام الآلات والمعدات .

تذكرت هذا كله ، وأنا أقرأ تحقيقاً منشوراً بالصفحة الثالثة في جريدة النور - العدد ٣٧٩ - عنوانه العلاج بالقرآن الكريم . ذكرت فيه الجريدة أسماء أربعة من المشايخ ، يمارسون العلاج في عيادات متخصصة . هم الشيخ عبد الخالق العطار بالمنصورة ، والشيخان أنسى بدوي وعبد المنعم الديداموني بالشرقية ، والشيخ محمود بيومي بالقاهرة. وأضافت الجريدة، والعهددة عليها، عبارة " وغيرهم كثيرون " . كما أوجزت نظرية العلاج الجديدة فيما نصه : تتطلق نظرية العلاج بالقرآن ، من أن أمراض الشلل والأمراض العصبية، التي يُصاب بها الكثيرون، يكون سببها الجن الذي يدخل جسد ابن آدم فيشله ويصيبه بالوهن .

ولم يفت الجريدة أن تذكر المراجع الطبية المعتمدة ( وأشهرها زاد المعاد لأبن القيم ) . وأضافت على لسان الطبيب الكبير الشيخ أنسى بدوي ( أكرمه الله ) أن أغلب الحالات المرضية التي عُرضت عليه، كان من أهم أسبابها : كثرة الأستماع إلى الموسيقى والغناء، ومشاهدة المعاصي على شاشة التلفزيون ..

لا أخفي على القاريء أنني أقتتعت ، خاصة وأن الشيخ أنسي قد ساق أسباباً مقنعة . فمن أدانا بأن أغاني أم كلثوم ليست سبباً في الشلل الرعاش ؟. خاصة مع ما نلاحظه من اهتزاز أجساد البعض عندما تتسلطن الست . ومن أدانا بأن مسلسل ليالي الحلمية ليس سبباً في التبول اللا إرادي ؟. ولماذا لا نسلط الأضواء على أنسي والديداموني والبيومي ، وبدلاً من أن ننشغل بالأطباء الظهورات أمثال خيرى السمرة وهاشم فؤاد وأحمد شفيق ، الذين لا يعرفون الفرق بين الجن البلدي والجن الرومي ، ويجهلون تماماً أفاعيل الجن الفيومي ؟. ولماذا لا نستعين بهؤلاء الخبراء في مفاوضاتنا مع صندوق النقد الدولي ؟. إن الأمر لن يكلفنا أكثر من قرموط سمسك ، نكتب على بطنه عملاً بالسفلي . وكلما تلعبت القرموط ، كلما تلوي مدير الصندوق وتلعبت عارياً فوق مكتبه ، مردداً : الحقني يا شيخ بيومي ، ألحق لبسني هومي ..

حقاً إن شر البلية ما يضحك . وأكثر ما أضحكني وأنا أقرأ التحقيق المذكور ، هو مطالبته بوجود عيادات ( رسمية ) للمشايخ سالفى الذكر . وتأكيده على أن فتح هذه العيادات ، سوف يساعد على القضاء على " المشعوزين الذين يستغلون الناس ويستنزفون أموالهم " . ولعله يقصد عيادات كبار الأطباء والمستشفيات المتخصصة ..

لقد أدركت بعد قراءة التحقيق الصحفي أن شعار " الإسلام هو الحل " قد راحت عليه ، وأنه أصبح موضة قديمة . وأن الشعار الذي

يجب أن نرفعه جميعاً ونلتف حوله هو "الديداموني هو الحل" .  
وقد أسعدني وأثلج صدري ، أن الجريدة قد نشرت صور العيادات  
الجهابذة المذكورين . وهو ما أهديه الى مجلس نقابة الأطباء ، الذي  
ينشغل أغلب أعضائه برفع الشعار القديم . وأغلب الظن أنهم لن  
يتخذوا موقفاً حيال هذا التطور العلمي ، وهذه الممارسات الطبية ،  
وهؤلاء الأطباء المتخصصين . جعل الله كلامي خفيفاً عليهم ،  
وأنجانا على أيديهم ، حتى يعم الخير أرجاء الوادي ، وتتقافز الصحة  
والحيوية في وجوه الناس في بلادي . دستوركم يا سيادي ..



## العمر والرحمة لا يسمحان \*

نشر الأستاذ مصباح قطب حديثاً تليفونياً أجراه معي ، ضمن إطار موضوع مثير عنوانه " ضبطناهم ببيعون الشهداء باللوف والصفيح وورق التواليت " . ووصف حديثي بأنه " أوضح مناقستو لرجال الأعمال الليبراليين في مصر ، إزاء قضية التطبيع والوجود الإسرائيلي " . وخصني مشكوراً بمطالبة القراء والخبراء السياسيين أن يردوا عليّ . وتعقيباً على ذلك أقول :

أولاً : ظلم الأستاذ مصباح حديثي بوضعه في هذا الإطار ، وكأنني فيلسوف التطبيع في مصر . وهو في هذا يلتقي مع التيار السياسي الديني دون أن يشعر ، في اتهام ظالم لا أساس له . لأنني لم أتعامل بمليم واحد مع إسرائيل . ولم يتم أي تعامل معهم من خلال مكنتبي لصالح أي عميل لهم . كما أنني اعتذرت حتى الآن عن قبول العديد من الدعوات لزيارة إسرائيل . وبعضها من معاهد علمية . بينما يلتقي ياسر عرفات بالإسرائيليين غير الرسميين ، ويعلن عن أستعداداه للقاء الرسميين . وبذلك لا يُصبح لقاء فرج فودة بإسرائيل أو

\* نشر في جريدة الأهالي بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٨٩ .

مصافحته، خيانة وجريمة لا تغفر ومناجزة بالشهداء .

ثانيا: الحديث عن التجارة بالشهداء هو أبعد ما يكون عني . فأنا شقيق الملازم محي الدين فوده ، الأصغر مني بعام واحد ، والذي أستشهد في حرب أو فضيحة ١٩٦٧ ، بعد تخرجه من الكلية الحربية بثلاثة أيام ( الدفعة ٥٠ ) . ولا نعلم حتى الآن أين مات أو كيف ، وهل دُفن أم لا ؟ . ولست أنا الذي يُتاجر في دم محيي وزملاء محيي ، وإنما يتاجر بدمهم من يدفعهم للحرب دون استعداد أو دون سبب ، أو مزايده على أصحاب القضية أنفسهم ، أي بلا قضية .

ثالثا: أشك كثيرا في أن الأستاذ مصباح قد قرأ حديث وزير خارجية الظل البريطاني جيرالد كاو فمان لمجلة التضامن في عددها الأخير ( رقم ٣٠٢ ص ١٥ ) بعد لقائه بياسر عرفات في تونس . وقد جاء فيه نص ما دونه من حديث عرفات . وهو بالحرف الواحد: إن الإسرائيليين في حاجة إلينا ، فهم يحتاجون إلى العمال الفلسطينيين لكي تدور عجلة اقتصادهم . وهناك قائمة - طويلة - بما يحتاجون إليه منا ، وما نحتاجه منهم . وهناك مشكلات نستطيع أن نحلها معا . والحديث مُهدي إلى الأستاذ مصباح ، لكي يضمه إلى مؤامرات التطبيع بين فلسطين وإسرائيل . ولعله يصف حديث عرفات بأنه : أوضح مناقستو لرجال الأعمال الليبراليين في فلسطين . ولعله يُطالب القراء والخبراء السياسيين بالرد على عرفات .

رابعا: حديث الأستاذ مصباح عن دولة واحدة علمانية ديمقراطية

في فلسطين ، يعيش فيها العرب واليهود في سلام ووثام . أصبح حديثاً ينتمي إلى متاحف التاريخ ، بعد أن تخلى عنه أصحابه ، وهم الطرف الرئيسي في القضية ، وقبلوا بالمنطق الواقعي ، وهو قيام دولة فلسطينية بجوار دولة إسرائيلية ، مع تعهد بالسلام وحسن الجوار . ولعن الله تلك العادة ، وأقصد بها عادة " الأستمناء الفكري " اللعينة . فهي السبب في كثير من مشاكلنا السياسية ، ومعاركنا الفكرية . حيث يمارسها البعض أيديولوجياً ، فيعيشون في أوهامهم ، وينتعثون بخيالهم ، ويرتعشون مع أمنياتهم . ثم يذوبون لذة في تصوراتهم الخاصة .

خامساً : إن الحقيقة المؤكدة أن هناك تياراً إسرائيلياً شعبياً يدعو إلى السلام . وأن المظاهرة الشعبية الوحيدة التي خرجت بمئات الآلاف ، تتدد بأحداث صبرا وشاتيلا ، قد خرجت في إسرائيل . ولم تخرج من عاصمة دولة عربية واحدة . ولست أدري كيف يُمكن دفع القوى وتشجيعها ومناصرتها دون الألتقاء بها والتحاور معها؟ . وهو ما فعلته منظمة التحرير أخيراً ، بعد أن أكتشفته مبكراً . ولم يكتشفه الملكيون أكثر من الملك ، في بلادنا بعد .

سادساً : أفهم أن نتعاون معاً في صد هجمة الردة الحضارية ، وأفهم أن نوسع من نقاط الأتفاق ، وأن نضيق من مساحة الأختلاف . فهذا ما تعلمناه من أبجديات السياسة . وإذا كانت نقاط الأتفاق بيننا واسعة ، ومنها العلمانية ، والوحدة الوطنية على أساس الإلتناء للوطن ، والليبرالية السياسية كهدف مرحلي لكم ونهائي لي . فإنه من غير

الحكمة أن نتبادل التراشق بالنيران، فيما نختلف حوله في قضايا السلام أو الاقتصاد . وأنا شخصياً لا أفهم إطلاقاً أن تفتح الأهالي صفحاتها للخلاف معي، ولورد على قضية يسعى أصحابها (الأصوليون) للسلام والوثام (وأحلى كلام ) ، بينما البيت يحترق من الداخل . وبمعنى أكثر دقة ، فأنا لا أفهم إطلاقاً أن أكون مُطالباً بالرد على الاعتصام والنور والمختار الإسلامي واللواء الإسلامي والحقيقة ، ثم أستدير في نفس الوقت لصد سهام الأهالي . لأن الرد على الصحف الأولى بالنسبة لي ممتع ، لأن عداها مُبرر . بينما الرد على الأهالي بالنسبة لي علقم، لأنني لا أفهم - تكتيكياً - دوافع الاختلاف . وإذا فهمتها لا أبررها . وإذا حاولت تبريرها ، ضربت كفاً بكف . وإذا كنا نأخذ على الحكومة اعتناقها لمبدأ من ليس معي بالكامل فهو ضدي ، فكيف يكون الموقف من اليسار عندما يفعل نفس الشيء ؟ .

وأخيراً يا أستاذ مصباح ، أرجو أن تهون عليك ، فالسلام قادم لا محالة ، لأنه إرادة أغلب الفلسطينيين وأغلب الإسرائيليين وأغلب المصريين . وهو إرادة القوتين الأعظم أيضاً، على الرغم من اعتراض التيارات السياسية الإسلامية في مصر ، واليهودية في إسرائيل ، وبعض الناصريين في مصر ، وكتلة الليكود في إسرائيل . وكان بودي - ليها العزيز - أن أتفق معك في رأيك ، حتى أتجنب لواذع قلمك الرشيق ، لولا أنني لا أستطيع أن أخون عقلي ومنطقي . كما أن العمر والصحة لا يسمحان لي بتلك الممارسات . فقد تجاوزت

## أصول المسائل \*

أي مفارقات تحدث في عالمنا اليوم؟.

إضرابات العمال في الأتحاد السوفييتي تُواجه بالحوار والإستجابة للمطالب العادلة، وإضرابات العمال في مصر ، التي تتغنى بالديمقراطية والليبرالية، تواجه بالقمع والفض العنيف والتحويل إلى النيابة .

نقابة التضامن في بولندا تُشكل أول حكومة ائتلافية لا يرأسها عضو بالحزب الشيوعي ، بينما الحزب الوطني في مصر واهم أنه سيخلد أبد الدهر ، وطامع في جميع مقاعد المستقلين في مجلس الشعب ، وجميع مقاعد مجلس الشوري . ويخوض معركة ضروساً تُذكرنا بحرب البسوس ، على مقعد المرحوم مصطفى شردي في بورسعيد .

العالم كله ، غربه وشرقه ، يتجه إلى عصر جديد يُمكن تسميته بحق ، عصر حقوق الإنسان . بينما نحن نراجع خطوتين كلما تقدمنا خطوة إلى الأمام .

• نشر في جريدة الأمل ، بتاريخ ٦ سبتمبر ١٩٨٩ .

من الذي يدفع بالنظام إلى هذا المأزق؟.

من يا ترى يعز عليه أن يُحرز النظام نجاحاً لاشك فيه على المستوى العربي والإفريقي والدولي ، فيحاول أن يشوه هذا كله بالأعتقالات والتعذيب؟. فنكون النتيجة سيلاً من احتجاجات منظمات حقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية، وجماعات الرأي، والأحزاب السياسية في أنحاء المعمورة .

هل هي سياسة " التوازن الأمني " التي جرت عليها وزارة الداخلية، ربما تأثراً بشعار عدم الانحياز؟. فإذا قبضت على تنظيم شيعي ، وجب عليها أن تقبض على تنظيم شيوعي . وإذا كان عدد أفراد التنظيم الأول اثنين وخمسين ، فلا بد أن يكون عدد التنظيم الآخر ثلاثة وخمسين . بزيادة فرد ، يزعم الخبثاء أنه عميل للمباحث .

إنني لن أتوقف كثيراً أمام التعذيب، رغم أنه يعذبني شخصياً. لتقتي أن الكثيرين سوف يكتبون عنه ، ويرفضونه ، ويسخطون عليه . وسوف أتجاوز هذا كله إلى ما أسميه أصول المسائل، وهي الأصول التي يجب أن يتوقف أمامها المنقفون وأصحاب الرأي ، ويتخذون بشأنها موقفاً .

إلى متى يُصبح إصدار المنشورات جريمة؟.

كيف يُمكن أن نتحدث عن الديمقراطية وحرية الرأي ، ونحن نحجر على أصحاب الرأي أن يصدروا رأياً مطبوعاً، ويوزعوه على

أفراد شعبيهم ؟. أنتذكر في هذا المجال حوار أدار بيني وبين  
المرحوم عبد العزيز الشوربجي ، وأتذكر كلماته لي عن حادثة  
مماثلة . قال :

- تصور يا فرج ، التهمة الموجهة إليهم هي إصدار منشور .  
معنى هذا أن نشر الرأي ، مجرد الرأي ، جريمة . ثم يتحدثون عن  
حرية الرأي .

ساعتها فوجئت ، لأنني جرياً على العادة ، كنت أقرأ عبارة  
"ضبط منشورات" فأتصور أن في الأمر جريمة . لكنني عندما تأملت  
كلماته ، أصبحت أتعجب مثلما تعجب . وأضرب كفاً بكف مثلما كان  
يفعل . وأدعو كل صاحب رأي أن يفعل مثلما فعل وأفعل .

إلى متى يُصبح ضبط تنظيم سياسي جريمة ؟.

أفهم أن يُضبط من يتسلحون بالقنابل والمسدسات ، ومن يستهدفون  
قلب النظام بالقوة . لأنهم ساعتها يدخلون ساحة الصراع العنيف ،  
ويدفعون ثمناً لا بد وأن يتوقعوه من البداية . لكنني لا أفهم اطلاقاً أن  
يقبضوا على أفراد تهمتهم الوحيدة أنهم يتحدثون في السياسة ،  
ويجتمعون معاً لأتفاقهم في الرأي ، أياً كان الرأي ، وأياً كان الهدف  
السياسي .

إلى متى يظل حق الإضراب ، وحق التظاهر ، جرائم ؟.

أذكر أنني في زيارة لي للولايات المتحدة الأمريكية ، كنت أعجب

وكان مبعث عجبي أن الأحزاب هناك، مختلفة عن الأحزاب في أنحاء المعمورة. فهي هناك ليس لها وجود إلا وقت الانتخابات . كما أن أكبر حزبين يتداخلان في سياساتهما. فيمين الحزب الديمقراطي أكثر يمينية من يسار الحزب الجمهوري. والعكس صحيح . وسرعان ما اكتشفت سر إيمان الشعب الأمريكي بالديمقراطية والحرية . وهو سر مُوجز في هذين الحقيين : حق الأضراب وحق التظاهر . لأنهما الحقان اللذان يُمارسهما كل فرد ، ويمسان حياة ومستقبل كل فرد . ويرتبطان بظروفه العملية والشخصية . ومن خلالهما يترسخ لديه الإيمان بالديمقراطية وحرية الرأي .

إلى متى يحتاج تكوين حزب سياسي إلى موافقة الحزب الحاكم ؟ .  
وإلى متى يحتاج إصدار صحيفة أو مجلة ، إلى موافقة النظام ،  
ومباركة وزارة الداخلية ؟ .

أقول لكم إلى متى ..

إلى أن يجتمع المثقفون والأحرار وأصحاب الرأي من كل اتجاه،  
لكي يستكروا هذا كله . ويحتجوا على هذا كله . ويتخذوا موقفاً من  
هذا كله . إننا نعيش مرحلة السماح الديمقراطي ، الذي لن يتحول أبداً  
إلى مناخ ديمقراطي إلا بإرادة الأحرار .

إننا نعيش الآن مرحلة حرية التعبير في حدود يرسمها صاحب  
السلطة والقرار . ولن تنتقل أبداً إلى "حرية التعبير الكاملة" ، وبعدها



إلى ما هو أهم ، وهو "حرية التغيير" ، إلا من خلال موقف  
معلن وواضح وموحد ..

لتكن إرادة الأحرار هي الأقوى ، ورأية الحرية هي الأعلى . ولندع  
خلافاتنا جانبا ، ولنتضامن من أجل وطن أرقى ، وحياة سياسية أنقى ،  
ومستقبل أبقى . ولنتكاتف من أجل جبهة شعبية وطنية ، ذات هدف  
واحد وشعار وحيد هو :

"حرية" للفكر وللعقيدة بلا حدود .

و ضمانات للحرية بغير قيود .

## إنهم يركبون الزلمكة \*

إنهم بعض فقهاؤنا الأفاضل ، الذين يركبون المرسيديس (الزلمكة).  
ويسكن بعضهم في فيلات فاخرة في الهرم ومدينة نصر ومصر  
الجديدة. ويسبحون الله في الليل، ويلعنون المفتي في الصباح.  
ويغازلون الجماعات الإسلامية في أوقات القيلولة . ويودعون مئات  
الألوف في شركات توظيف الأموال . ويقبضون بالدولار المبارك  
مقابل أعمالهم الاستشارية في البنوك الإسلامية . وأحدهم وكان مفتياً  
سابقاً ، وصل مرتبه إلى سبعة آلاف دولار شهرياً ، أي حوالي  
ثمانية عشر ألف جنيه مصري بالتمام والكمال . وقد يظن القاريء  
أنهم يعملون مقابل هذه المبالغ أثناء الليل وأطراف النهار . والحقيقة  
أن ذلك افتتات عليهم ، لأنه لو صح ، لما بقى لديهم وقت لقراءة  
القرآن ، ونكر الرحمن ، وقيام الليل ، وصلاة الفجر .

والحق أن البنوك الإسلامية قد راعت ذلك كله . فقصرت  
استشاراتها على حوار يتيم ، يُغني عن سؤال أي علماني لثيم . وهو

---

\* نشر في جريدة الأهالي ، بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٨٩ .

حوار يحدث في نهاية السنة المالية ، ويبدأ بسؤال فضيلته عن رأيه في الميزانية . فيأتي الرد المبارك : يكفيكم حسن النية ، وطهارة الطوية . فيعود السؤال : وما رأيك في حركة الأموال ؟. فيرد الشيخ الجليل : كلها حلال . فيسألونه : وأرباح البنوك السنوية ؟. فيرد الشيخ : كلها من المضاربة الشرعية ، وكلها حلال ( مية في المية ) . والحمد لله على أنه لا توجد أية خسارة . فيردون عليه : كله بفضل الاستخارة . ولسنا ننري كيف كنا سنحكم على جدوى المشروعات دون استخارتكم ، ولماذا لا تفتحون مكتباً استخارياً يطرد المكاتب الاستشارية العلمانية من السوق ؟. فيبتسم الشيخ الجليل في زهد وورع ، فيغمزونه في دلع : هيا أعطنا البركة يا مولانا .

والبركة هنا اصطلاح متداول ، مضمونه أن يُخرج الشيخ قلمه الذهبي، ويوقع الميزانية ، فتصبح حلالاً بلائلاً . ولا ينسى وهو يوقع، أن يلمح بطرف عينه، نسبة الخمسة في المائة . وهي النسبة التي تحصل عليها هيئة الرقابة الشرعية . وهي نسبة ثقيلة العيار ، تحتوي عادة على ما لا يقل عن خمسة أصفار ، تُضاف إلى المرتبات الشهرية بالدولار . ولا مانع لدى بعض البنوك من رحلة ( بلهنية ) ، يزور فيها الشيخ فرع البنك في الجزر البهامية . حيث لا ضرائب ولا يحزنون . فالضرائب تكون في البلاد الفقيرة مثل مصر . ويحزنون أيضاً مفهوم خاص بالبلاد الفقيرة مثل مصر ، ومصر أم الدنيا كما يقولون . ففيها يقبل الناس يدي الشيخ ، وفيها يركب الشيخ

الزلمكة ، ويحمد الله على ما رزقه من بهيمة الأنعام .

والسيارة لا ينطبق عليها هذا الوصف بالطبع ، لكن الشيخ لا يقصد السيارة ، وإنما يقصد الزلمكة . وفيها يحاضر الشيخ جمهوره عن الزهد ، وهجر الدنيا ، وعن مآثر أبي نر الغفاري . وعن علي ابن أبي طالب وأهل بيته . وكيف كانوا يبببتون على الطوى ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟ . وفيها يتوعد الشيخ الأغنياء ، ويصفهم بالغباء ، ويقسم أن دخولهم الجنة أصعب من دخول الجمل في سم الخياط . ويكي الفقراء بل وينشجون ، بينما صوت الشيخ يعلو : يا دنيا غرّي غيري . ويتخيل الناس أغنياء الأنفتاح في جهنم ، مشغولين بإعداد المشروبات ( الساخنة ) لهم . بينما هم جالسون في الجنة ، يستمتعون بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

إن كاتب هذه السطور لا يحسد ولا يحقد . لكن لعابه يسيل رغماً عنه وهو يتخيل ما رزقه الله به ، خاصة بهيمة الأنعام . وعيناه تتسعان في دهشة ، رغماً عنه أيضاً ، وهو يقرأ في الصفحة الأولى لجريدة الأخبار ، أن شيخاً فاضلاً شهيراً قد تبرع لمجمع ديني بمليون جنيه . مرة واحدة هكذا مليون جنيه . وأنه قد تعرض مرة للسرقة ، وكانت حصيلتها أموالاً سائلة ومجوهرات ذهبية قرر قيمتها بمائة وخمسين ألف جنيه<sup>(١)</sup> . وقد تذكر كاتب هذه السطور

وقتها وعد الله لمن يكتزون الذهب والفضة ، لكنه أستكر أن يمر  
خاطر مثل هذا في ذهنه . وأرجع الأمر إلى الأخطاء المطبعية ، وهي  
ظاهرة أنتشرت في الصحف في الفترة الأخيرة ، وأساعت إلى سمعة  
فقهائنا الأجلاء . فعمدنا برجال الدين أنهم أهل زهد وترفع عن مغريات  
الحياة .

يبقى لدينا سؤال نوجهه إلى شيوخنا الأفاضل ، عن حكم الدين  
فيمن يعظ المسلمين ، ويؤم المصلين ، ويركب الزلمكة . بينما غالبية  
من يصلون وراءه ، يحلمون بزلمكة حقيقية ، يطبخون عليها طبقاً  
من الحساء اللذيذ ، يطفو على سطحه البهريز .

بالذمة مش حاجة تغيز ؟ .

أقصد تغيز .

---

(١) فضيلة الشيخ الشعراوي .

## الشباب والتطرف \*

**قصة المقال :** حين شرفتي " المنار " بطلب الكتابة لها ، سعدت كثيراً وترددت قليلاً. أما السعادة، فترجع إلى ما أحمله لمُصدرها من احترام وتقدير. وأما التردد، فلأنني لا أرى في الكتابة حرفة ، وإنما أراها وسيلة للتعبير عما أراه حقاً . دون ألتفات لمشاعر القراء ، بل لعليّ تعمدت أن أفزُعهم بالحقيقة ، وأواجههم بها دون تورية أو تزييف . وأنشر ذلك في كتيبي ، فأتلقى مدحاً كثيراً وقدحاً أكثر . وأسعد في كل الأحوال بما أعتبره واجباً عليّ . ولست على استعداد لتغيير أسلوبِي في هذا المقال . فقد تعودت على القدح ، ووطنت نفسي على تلقي الأحجار . لذا لزم التتويه .. دون اعتذار ..

**المقال :** ليس في العنوان ما يُثير . وليس فيه تناقض يدعو إلى الدهشة ، أو غرابة تدفع إلى قراءة المقال . فالشباب والتطرف صنوان . ذلك إذا فهمنا التطرف بمعناه الدارج، وهو " الإندفاع " . بيد أن التطرف في السنوات الأخيرة ، قد أصبح مُرادفاً لمعان أخرى ، لعلها لم ترد في أذهاننا ، أو قل غير مُبالغ ، أنها لم ترد في أحلامنا ذات يوم .

• نشر في مجلة المنار ، تصدر في باريس ، ١٩٧٨ .

## الدين والسياسة

أن يعلن أحد الشباب عن اعتناقه للفكر السياسي الإسلامي ، فهذا رأي في تقدير البعض ، وأندفاع في تقديري . لأنني أرى أن الدين أعز من أن يُقحم في السياسة ، وأنزه من أن يُلوث بمغامرات الساسة ، وأبعد ما يكون عن تمثيله لنظرية سياسية متكاملة . لأن ساحته مختلفة ، وهي ساحة أرقى وأبقى . ولأن أصحاب هذه الدعاوي لم يقدموا لنا دليلاً أو برنامجاً متكاملًا ، يُرضي أذهان البسطاء من أمثالي على الأقل . بيد أن هذا مجال حديث آخر . وكفينا الآن أن يتراوح حكمنا على الباب بين الرأي والأندفاع . وأن نراقب هذا الشباب وهو يتجاوز الإيمان بما يقول ، إلى نعت المخالفين له بالكفر والجاهلية . الأمر الذي قد يدفع من وصفوا موقفه الأول بالرأي ، إلى وصف موقفه الجديد بالإندفاع . بينما يدفعني هذا الموقف إلى وصفه بالتطرف . وإلى مراقبته وهو يتطور ، أو يتطرف فيمتشق سلاحاً . ربما كان سيفاً إذا كانت أصوليته نقية ، أو مدفعاً رشاشاً إذا أخضع أصوليته لمواءمات العصر . وها هو يُحل دم المختلفين معه ، طاعناً إياهم بالسيف ، أو مطلقاً عليهم الرصاص . دافعاً من وصفوا موقفه السابق بالإندفاع ، إلى وصف موقفه الجديد بالتطرف . ودافعاً لي إلى وصف موقفه الجديد بالإرهاب ، لا أكثر ولا أقل .

### جذور التطرف في نفوس الشباب

لا بأس أن نختلف حول تقييم هذه المواقف . فالتطرف مدخل إلى الإرهاب. والإرهاب تعبير عن التطرف. وكلاهما أندفاع . وكلاهما شر بلا شك ، إثم بلا ريبه .

من أين يبدأ مثلث الفزع السابق : الإندفاع - التطرف - الإرهاب؟. لاشك عندي في أن نقطة البدء كاملة في مناهجنا التعليمية التي يتلقاها النشء . وأنا بالتالي أصحاب الفضل ( إن سمي ذلك فضلاً ) في غرس جذور التطرف في نفوسهم . وأمامي نموذج حي على ذلك، ساقته الأقدار إليّ ، حين تعثر أحد أبنائي في امتحان أحد الشهور في اللغة العربية . فتناولت الكتاب قاصداً مساعده ( وهو كتاب القراءة والمحفوظات المقرر على الصف الخامس الابتدائي ) . وبدأت بالدرس الأول وعنوانه " نشيد النصر " وكان نص ما ورد تحت هذا العنوان ما يلي: من واجب مصر أن تشكر الله ، وتعرف فضله عليها . لقد نصرها في حرب رمضان، وكان النصر عظيماً . وقد جاء هذا النصر ثمرة الإيمان الصحيح ، والعزم القوي، والصبر، مع العمل المتصل ..

لقد عبر جنودنا وأنتصروا ، وتغلبوا على كل صعب ، ودخلوا سيناء . وكان النداء الذي يتردد الله أكبر ، الله أكبر . وقد قضى هذا العبور على خط بارليف، وقضى على ما أذاعه من الكذب عن قوته . فمن حق مصر أن تردد دائماً : الله أكبر ، الله أكبر .



وواضح أن الحديث هنا عن حرب عام ١٩٧٣ ، وبالتحديد عن عبور القوات المصرية لقناة السويس ، وتدميرها لخط بارليف . وهو أنتصار مجيد بلاشك . بيد أن الدرس المشار إليه ، يُرجعه إلى أربعة أسباب ، تم ترتيبها وفقاً لأهميتها على النحو التالي :

(١) الإيمان الصحيح .

(٢) العزم القوي .

(٣) الصبر .

(٤) العمل المتصل .

وينتهي الدرس باستخلاص النتيجة ، أو الدرس المستفاد من المعركة . وهو ترديد مصر دائماً : الله أكبر ، الله أكبر .

#### منهج مرفوض

وواضح من الترتيب ، أن العامل الأساسي والحيوي والجوهري في النصر ، قد احتل المرتبة الأخيرة عن عمد . وأنه نُكر ، وكأنه كتب سهواً . وبديهي أن ترتيب أسباب النصر بهذه الصورة ، سوف يدعو المدرس والطالب إلى إغلاق أذهانهم وحجبها عن التفكير ، الذي سوف يقودهم إلى أسئلة تعني إجاباتها رفض الدرس بما يحتويه .

إن الطالب سوف يعجز عن تفسير ثغرة الدفرسوار . لأن حدوثها يعني أن المصريين قد فقدوا إيمانهم الصحيح لفترة ، أو أنهارت

عزائمهم ، أو تخلوا عن فضيلة الصبر . وسوف يعجز أيضاً عن تفسير هزيمة ١٩٦٧ إلا بتفسير واحد ، هو كفر آبائه الصريح . وربما تمادى فتصور الأمر من جانبه الآخر ، على أنه نصر إلهي لليهود ، ورضا منه على فعالهم . ولعل البعض الآن قد تحفز للرد عليّ متصوراً أنني أحاول الألتفاف بمهارة ، للتوصل إلى نتيجة مؤداها رفض الإيمان أو أستكثار الإستعانة بالله . وأنا أستغفر الله لمن يشطح به الخيال إلى هذا الظن . لأنني أعتقد أن ما ورد في الدرس السابق ، يُمثل منهجاً ياباه الإسلام كل الإباء . بل إنه يطرح في الحقيقة منهجاً عكسياً له على خط مستقيم . والتاريخ مليء بالنماذج الدالة على ذلك . وما لنا نذهب بعيداً وأمامنا درس غزوة أُحد .

#### درس التاريخ

كان يسيراً على الله أن ينتصر المسلمون في أُحد ، وكان الإسلام أحوج ما يكون إلى هذا النصر . وما كان للمشركين أن يحتجوا في أُحد بما احتجوا به في بدر ، من مباغطة المسلمين لهم . ولو ثنى المسلمون على نصر بدر بنصر أُحد ، لأنتهى أمر الشرك أو كاد . وعلى مستوى العقيدة والإيمان ، كانت الظروف مهيأة لأنتصار لاشك فيه . فالمسلمون المحاربون هم السابقون الأولون ، وأولئك هم المقربون . وقائد الجيش هو النبي العظيم ، أي أنه خير قادة التاريخ . ولم يكن المسلمون في حاجة إلى صيحة الله أكبر ، لأنها كانت محور حياتهم ، بل هي دعواهم التي نفروا خفاً ونقلاً للدفاع عنها . ونضيف إلى

ذلك كله، ما هو ثابت بالنص القرآني من مساندة الملائكة للمسلمين في أُحد.<sup>(١)</sup> ورغم ذلك كله ( جيش الصحابة، وقيادة النبي، وصدق الإسلام، ومساندة الملائكة ) أنهزم المسلمون، وانتصر المشركون . وكانت هزيمة أُحد أثقل الهزائم . وفسر لنا القرآن ، وكتب السيرة ، سبب الهزيمة ، وهو ترك المسلمين لمواقعهم سعياً وراء الغنائم . أي بتعبير العصر نتيجة لخطأ فني . هذا الموكب الإيماني كله ، يلقي هزيمته في أخرج الظروف، بسبب خطأ فني أجاد المشركون أستغلاله .

أي دلالة أوضح من هذه الدلالة على منهج الإسلام ؟. الإستعداد الجيد للحرب إذن هو الأساس ، والتدريب الجيد على مواجهة المواقف الممكنة هو الفيصل ، وأتخاذ القرارات المناسبة ، وفقاً لسير العمليات هو المنهج . وإذا أختل هذا، فلا يشفع للجيش أن يكون قائده أعظم الخلق ، أو أن يكون جنده خيار الصحابة ، أو أن يكون سنده ملائكة الرحمن ، أو أن تكون صيخته الله أكبر أو لا إله إلا الله .

ألا يدرك كاتبو الدرس الآن ، أنهم يعكسون القصد ، ويقلبون الحقائق . وأكثر من ذلك ، أنهم يمهدون الأرض للتطرف ؟.

#### الإيمان بالمقل مرشداً للعمل

نعم، فسوف يستقر في ذهن النشء أن مدخلهم للحاق بالحضارة،

---

(١) في سورة آل عمران .

ومواجهة تحديات العصر ، يبدأ بالنصيحة ، وينتهي بالبركة . أما العلم ، والعمل ، والتدريب ، فتأتي جميعاً في النهاية ، أو لا تأتي ، فلا ضرر ولا ضرار .

نعم .. فسوف يتدرب النشء على إلغاء العقل ، وعلى أستبعاد التساؤلات ، وعلى تجاهل المنطق ، وعلى قبول الرأي ، أي رأي ، بالتسليم وليس بالتمحيص . وسوف يتبع البعض في المستقبل رأياً شاذاً لمجرد أنه مكتوب في تراث ابن تيمية ، أو منطوق على لسان أحد أمراء الجماعات الإسلامية .

#### فكرة خاطئة عن الدين

ويبقى ما هو أخطر ، وهو ما تيقنت منه وأنا أسأل أبني عن تصوره في معلوماته عن الإسلام ، من خلال ما تلقنه من دروس الدين في المدرسة . فإذا بثلاثة أرباع حديثه ، إن لم يكن أكثره ، منحصرأ في غزوات الرسول : بدر وأحد والخندق وخيبر . وإذا بالدين الإسلامي وقد تحول في ذهن الفتى ، بقدرة مناهج التدريس ، إلى دين حرب . وإذا بهم يلقنون النشء مفهوماً حريباً عن الإسلام ، ما أسهل أستلهامه فيما بعد ، حين يمتشق الفرد منهم سلاحاً ، ويستحل دم المخالفين له ، ويتبنى الجهاد المسلح ضد مواطنيه . ويرى في ذلك ركناً من أركان العقيدة .

والغريب أن هذا المنهج ( المنهج الحربي ) ، قد شاع مؤخراً لدى الكبار أيضاً ، حتى وجدنا من يتنادون بتدريس فنون الكر والفر في

الغزوات في الكليات العسكرية . وحيث تقدم البحوث في كلية أركاب الحرب عن عبقرى الفن العسكري في غزوة كذا أو غزوة كذا . وقد يندهل الكثيرون حين يعلمون أن مجموع قتلى المسلمين والمشركين (ونكرر : مجموع ) في جميع الغزوات التي تمت في عهد الرسول (ونكرر : جميع الغزوات ) من واقع سيرة ابن هشام يبلغ ٢٥١ قتيلاً (مائتان وواحد وخمسون قتيلاً فقط) . منهم ١٣٩ شهيداً (بنسبة ٥٥%) يمثلون شهداء المسلمين ، و ١١٢ قتيلاً (بنسبة ٤٥%) يمثلون قتلى المشركين ، وواضح أن إجمالي عدد القتلى يقل عن ضحايا سقوط طائرة واحدة في أيامنا هذه .

وتفصيل شهداء المسلمين : ( بدر ١٤ ، أحد ٧٠ ، الخندق ٦ ، بنو المصطلق - ، خيبر ١٩ ، مؤتة ١٤ ، حنين ٤ ، الطائف ١٢ ، تبوك - ) بينما تفصيل قتلى المشركين ( بدر ٧٠ ، أحد ٢٢ ، الخندق ٣ ، بنو المصطلق ٣ ، خيبر - مؤتة ١٤ ، حنين - ، الطائف - ، تبوك - .  
و واضح أيضاً أنه لم تكن هناك حرب ولا ضحايا في تبوك .

و واضح أيضاً أن المسلمين قد أنتصروا في غزوتين ( بدر وبنو المصطلق ) . وأنهزموا في غزوتين ( أحد ومؤتة ) . وأفشلوا حصارا ( الخندق ) . ونجحوا في حصار ( خيبر ) . وفشلوا في حصارين ( حنين والطائف ) . وأن الغزوات قد بدأت بانتصار في بدر ، وأنتهت بهزيمة في مؤتة . وأن عظمة الرسول لم تكن في أنتصاراته المستمرة ، فهذا لم يحدث . وإنما تمثلت في تحويله لسجل أختلطت فيه الأنتصارات بالهزائم ، حتى كادا يتعادلان ، إلى أنتصار نهائي ، وتاريخي ،

ومستمر . وهو ما لا اعتقد أنه قد حدث على مدى التاريخ .

### غياب النظرة الشاملة إلى الإسلام

ودلالة ما اضطررنا إلى سرده فيما سبق ، أن مفهوم الإسلام الحقيقي قد غاب عن الأذهان ، فكان ما كان . فهو في أذهان البعض دين حرب . وهو في خيال البعض موسوعة طب . وهو في عقول البعض منهج اقتصاد . وآخر ما يفكر فيه الجميع ، أنه عقيدة وعبادة ، وقيم ومثل ، وتعامل بالمعروف ، وموعظة بالحسنى وفيض إحسان ، وسبيل إيمان . وأن الرسول قد تمثل في أذهان البعض ، وكأنه فارس حرب ، أو عالم طب ، دون أنفات إلى أن عظمته الحقيقية كامنة في إنسانيته . وأنه مبلّغ أمين لرسالة عظيمة . ويا حسرة على ولدي الصغير وعلى جيله كله ، ذلك الذي يقارن في خياله بين الرسول وبين نابليون . ولا يعرف من الإسلام إلا سيفاً مشهوراً ، وكفنأ منوراً ، وقبراً محفوراً . ويا أسفاه على من مهدوا للتطرف بإخفاء الحقائق ، وأوقروا في النفوس أن دين السلام سبيل حرب ، وأن جيوش المسلمين سيوف بلا قلب ، وربما بلا عقل أيضاً .

### تنويعات على أنغام شاذة

لا بأس هنا أن نقطع رتابة السرد ، بحوار تُجرّبه مع القاريء . سائلين إياه عن رأيه فيما سنقصه عليه من أحداث حقيقية حدثت في

مصر في العام الأخير . وكلها موثقة بالأسانيد والمصادر . وليس لها علاقة بخيال أو احتمال . وجميعها تختلط فيها المأساة بالمهابة ، ويربط بينها جميعاً خيط رفيع ، يُمكن تسميته بالجنوح ، أو الجموح . لكن أصدق وصف لها ، أنها تنويعات على أنغام شاذة . ولعلنا نستأذن القارئ في استعارة أسلوب كتاب السيناريو في الأفلام السينمائية ، فلربما كان أصدق في التصوير ، وأدق في التعبير ..

(١) كلاميت ..

بعض شباب الجامعات الإسلامية في جامعة أسيوط ، يرفضون الذهاب إلى الجامعة في سيارة أو على دراجة ، ويفضلون تأكيداً للأصولية، أن يذهبوا ممتطين " دابة " . حججهم في ذلك أن السيارة والدراجة، ينطبق عليها وصف " لتركبوها " . أما الدابة، فينطبق عليها وصف " لتركبوها وزينة " . وتزداد جرعة الأصولية لدى البعض فيفضل أمطاء " الناقة " .

المشهد : أمير إحدى الجماعات ، يرتدي جلباباً أبيضاً قصيراً ، ويمتطي ناقةً تتهادى به ، بينما الكاميرا تتابعه . تقترب الكاميرا من وجهه، فتظهر لحيته السوداء الكثيفة، وبقايا من شاربه الطيق . وتبدو عيناه مكحلتين بكحل الأثمد . تمر الناقة، وتقترب الكاميرا من ظهره، فتظهر الذؤابة المتدلّية من عمامته، وشعر رأسه المنسدل على كتفيه . ومن بعيد ، يظهر مبنى حديث . تقترب الكاميرا من لافتة على باب المبنى مكتوب عليها " كلية الطب " . ستوب ..

## (٢) كلاكيت ..

المشهد الأول : محطة السكة الحديد . تقترب الكاميرا من لافتة المحطة ، يظهر أسم المحطة بعرض الشاشة " المنيا " ..

المشهد الثاني : شاب من الملتحين ، يرتدي جلباباً أبيضاً أمامه صحيفة يومية ملقاة على الأرض . تقترب الكاميرا من يده ، وهو يشير إلى الصحيفة ، حيث يظهر العنوان الرئيسي بعرض الشاشة " ألف مليون جنيه للإتفاق على المجاري " . تعود الكاميرا إلى وجه الشاب ، وتقترب منه ، فتظهر على وجهه ملامح الضيق والأشمزاز ..

المشهد الثالث : جماعة من الملتحين بثيابهم البيضاء ، يسرون صوب الصحراء في تناقل ، وبخطوات شديدة البطء ، وأيديهم متشابكة . تقترب الكاميرا من ظهورهم التي تبدو منحنية ، ومن بعيد تظهر الشمس ، وهي في سبيلها للغروب ..

صوت المذيع ينطلق : ها هم يذهبون لقضاء حاجتهم في الخلاء مصداقاً لبيانهم الشهير " سلوك الجهلاء ، وآداب قضاء الحاجة في الخلاء " . ما أروع القصد ، وما أرشد السبيل ..

المشهد الرابع : ( إضاءة قوية ) نفس المجموعة تعود وهي مسرعة الخطو ، وأفرادها يتقافزون في خفة وسعادة . تقترب الكاميرا من وجوههم ، فتبدو عليها مشاعر الراحة والصحة ، ولامح الغبطة والأبتسام . يربت كل منهم على كتف زميله في سرور وحبور ، مردداً شفيتم .. شفيتم .. ستوب ..



### (٣) كلاكيت ..

( أعلن بعض مدرسي الألعاب الرياضية في محافظة سوهاج رفضهم لتحية العلم في الصباح، ولترديد هتاف : تحيا جمهورية مصر العربية . وأستبدلوه بهتافات دينية . وفي إحدى المدارس ، طرد بعض المدرسين المتطرفين مدرس الموسيقى ، واضطرت مديرية التعليم لتعيينه في وظيفة إدارية بالمنطقة ) .

**المشهد الأول :** طابور الصباح في إحدى المدارس الابتدائية . يقف الطلاب على هيئة ثلاثة أوضاع مربع ، وعشرة مدرسين يقفون في الضلع الرابع ، يتوسطهم مدير المدرسة . وجميعهم بالملابس الأفرنجية . في منتصف الساحة يرتفع علم مصر خفاقاً مرفرفاً ، وجواره مدرس التربية الرياضية، مرتدياً ملابس تدريب رياضية ، يهتف ويردد الطلبة وراءه : تحيا جمهورية مصر العربية .. تحيا جمهورية مصر العربية ..

**المشهد الثاني :** خريطة بحدود مصر ، مكتوب عليها جمهورية مصر العربية .. تشتعل النار في أحد أطرافها ، وتمتد لتلتهم الخريطة بأكملها ..

**المشهد الثالث :** لوحة مكتوب عليها بخط جميل : حدود الوطن لدى المسلم محدودة بالعقيدة ، وحيث يوجد المسلم يكون الوطن ، أما الوطنية فهي إرث الإستعمار ..أبو الأعلى المودودي .

**المشهد الرابع :** نفس المشهد الأول عدا أختفاء العلم ، وأرتداء

مدرس التربية الرياضية جلياباً أبيضاً قصيراً ، تحته سروال طويل من نفس اللون . ترتفع يده اليمنى ممسكة بالمصحف، ويهتف ويردد وراءه الطلبة . القرآن نستورنا .. الرسول زعيمنا .. الموت في سبيل الله أحلى أمانينا .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر والله الحمد.. ستوب ..

(٤) كلاكيت ..

المشهد الأول : لوحة بعض الشاشة : العرض القائم " وغداً تتحطم الأصنام " .

المشهد الثاني : تمثال رمسيس ، تقترب الكاميرا من وجهه ببطء .

صوت : وغداً تتحطم الأصنام ..

المشهد الثالث : تمثال سعد زغلول ، تقترب الكاميرا من وجهه ببطء ..

صوت : وغداً تتحطم الأصنام .

المشهد الرابع : لوحة بعرض الشاشة : النهاية .. ستوب .

البحث عن سبيل للحوار

ونتساءل معاً : تحت أي بند من البنود يُمكن أن نُصنف الأحداث السابقة ، وكلها حقيقية وموثقة ( ركوب الدابة في جامعة أسسيوط : مجلة المصور . قضاء الحاجة في الخلاء في المنيا : منشور

للجماعة الإسلامية . استبدال النشيد الوطني وتحية العلم  
بالتعاطفات الدينية في سواهج: جريدة الأهالي ) . وهل هو الأندفاع أم  
التطرف ، أم الإرهاب ، أم كل هذا مضافاً إليه غياب العقل والوعي  
معاً ؟ .

أي أسلوب يُجدي يا ترى مع هؤلاء وأمثالهم ؟ . هل هو المجادلة  
بالتي هي أحسن ، أم المجادلة بالتّي هي أسوأ ؟ . وما هو الأسوأ مما  
نسمعه عنهم ونراه منهم ؟ .

هذه أسئلة لا تُعني عن محاولة أستعراض أسباب المشكلة ، وسبل  
الحل . وهي محاولة صعبة ، أمام تيار يمرح أفراده في مساحة  
واسعة ، تبدأ بالرفض وتنتهي بالخبال . وتمر بينهما على العنف  
لفظاً ويداوسيفاً ومدفعاً .

#### جنور المشكلة

ونبدأ بالأسباب : وهي متعددة ومتشابهة ، وبعضها تاريخي ،  
وبعضها حديث . غير أننا نحاول وضع أيدينا على بعض الأسباب  
ونطرحها في صورة تساؤلات ..

\* هل السبب هو غياب القضية الوطنية ، بعد الحصول على  
الاستقلال ، وانتكاس القضية القومية بالهزيمة ، وأبستعاد الخط  
الخارجي بالمعاهدة ؟ . وهل نحن حقاً على عكس الشعوب المتقدمة ،  
لابد وأن نطمئن لقيادة "كاريزمية" ، أو نتجمع في مواجهة عدو

بأننا عارون حتى من دفء الشعارات ، وأندفعنا في أحضان أول  
وعد بالدفء ، حتى ولو كان وهماً ؟.

\* هل السبب كامن في أننا لم ندفع ثمننا للحضارة ، وإنما أنتقلنا  
إلينا على يد الرواد ، فسهل علينا خلعها ، لأنها لم تكن إلا قشرة  
واهية ، وخارجية ؟. وأنه قد أن الأوان لدفع الثمن ، ربما مضافاً إليه  
فوائد التأخير ؟.

\* هل أنسحقنا جميعاً لهزيمة يونيو ( حزيران ) ١٩٦٧ . فتعاملنا  
مع العالم والحضارة بمنطق المهزوم ، الذي ينسحق إلى داخله عند  
التحدي ، ويفضل الإرتداد خلفاً بدلاً من التقدم ، عن إحساس عميق  
بالعجز ، وثقة غائبة بالنفس ؟.

\* هل كنا ضحية تزييف التاريخ ، حيث نقله إلينا الرواد مُصفي  
من شوائب القهر والاستبداد والأنحلال . حتى هُييء إلينا أننا فقدنا  
حلم الجنة ، وأستبدلناه بحجم الواقع المتردي ؟. وأننا في هذا وذاك ،  
لم نتخل عن طبيعتنا الشرقية ، التي تميل إلى التجريد . فنجرد الواقع  
من كل مزية ، والحضارة من كل فضيلة ، والتاريخ من كل  
شائبة ؟.

\* هل ترهلت عقولنا حتى عز عليها التفكير ، وتفرقت أفكارنا  
حتى عز عليها التجديد ، وترفعت طاقاتنا عن الإبداع ، وقدراتنا عن  
تصور النسبية في الصواب والخطأ ، وأذهاننا عن أستيعاب مفهوم  
الفكرة والنقيض . فاسترحنا إلى أول طارق يعد بإلغاء كل ذلك ، وإحالة

كل أمر إلى أعلى . وعز علينا عجز القدرة فاستبدلناه بقدرة العاجزين ؟.

\* هل هي الأزمات الاقتصادية التي نعانيتها، والتي كانت تُتبيء باليسار . فإذا هو عاجز ، بل إذا ببعض رموزه تتساقط كالثمار الناضجة في ساحة التطرف ، وتراهن على الحل في الفردوس . وتعد من لا يملك كوخاً يؤويه بقصر في الجنة ، ومن لا يجد عدلاً يحميه بالميزان العادل في الآخرة ، وتقرن بين تجمد الحركة وأنسيال البركة ؟.

\* هل هي مزايدات السياسة ، حين أصبح هم قياداتها ذقناً تطول، أوتوبة تُعلن ، أو حج تنقله وكالات الأنباء . بينما في النفس ما فيها من طمع إلى أصوات أكثر ، ومن توسل إلى قلوب خافقة ، ومن مخاطبة لعقول مغلقة . وليس مهماً من يدفع الثمن ، المهم أن يحصلوا هم على مقدم الأتعاب ؟.

\* هل هو الرصاص الذي أصاب البعض في الظاهر ، وأصاب الجميع في الواقع . فجبن من جبن ، وزايد من زايد ، وبائع من بايع ، وباع من باع ؟.

\* هل هي القوى الكبرى التي لا تريد سلاماً للمنطقة ، ولا تنمية لشعوبها . ويعنيها أن ننسحب من صراع القوى العالمية ، إلى الخلاف حول حديث الذبابة . ومن قيادة العالم الثالث ، إلى بحث أحوال العالم الآخر . ومن سباق الفضاء ، إلى سباق قضاء الحاجة في الخلاء ؟.

\* هل هو الإعلام ، المغيَّب الوعي ، المغيَّب للوعي . المُعادي

للتقدم ، المعتدي على التقدم . المساند لكل دعاوى الردة الحضارية ،  
في حنكة لاثليق إلا بالمحترفين ؟.

\* هل هو بعض ما سبق ، أم كل ما سبق ، أم أن ما سبق لا يكفي  
للتفسير ؟. وأن هناك أسباباً أخرى تطرح أسئلة أخرى . وكيف يا  
تُرى يتم توظيف الشيء ونقيضه ، لخدمة تيار الردة الحضارية .  
فتصبح هزيمة يونيو ( حزيران ) سبباً ، ثم يحدث النصر ، فيُضاف  
سبب جديد ، يتمثل في أن النصر أتى على جناح الملائكة ، وأستجابة  
لصيحة الله أكبر ، وانتصاراً لخطة " بدر " ، وتأكيداً لفضل رمضان .  
وهكذا ، وبلا سابقة أعرفها ، تتحالف الهزيمة والنصر ، على تعميق  
المأساة ..

ولماذا ارتبط التطرف بالشباب ؟

لأننا أغننا أحلامهم في مستقبل أفضل . وأغننا أفكارهم بمناهج  
تعليمية متخلفة . وأغننا ذاكرتهم بتزييف التاريخ . وأغننا وعيهم حين  
علمناهم أن يروا الحقيقة من زاوية واحدة . وأغننا أبصارهم حين  
حصرنا الألوان في الأبيض والأسود ، تماماً كما أختزلها المتطرفون  
في الجنة والنار . أما اللون الرمادي ، فقد محواه من أذهانهم . وتخلفنا  
حتى عن المعتزلة ، الذين تحدثوا قبل ألف عام عن المنزلة بسين  
المنزلتين . وليس لنا أن نندهش ، لأننا الفعلة مع سبق الإصرار  
والترصد . وهي حقيقة مريرة بقدر ما هي صحيحة ..

و هل هناك حل ؟.

بالتأكيد ، بيد أن هذا مجال حديث آخر ..

## الفتاة المصرية وقضية الدين \*

هذه محاضرة مزعجة ، فكرت كثيراً أن أعتذر عنها ، لولا ذلك الضعف الذي ينتابني دائماً أمام الحقيقة ، أو على الأقل ما اعتقد أنه حق . ومبعث الإزعاج لا يكمن في مضمون المحاضرة ، فهي في النهاية رأي ، ووجه من وجوه الحقيقة . وهو رأي لا يحتاج إلى جهد كبير في أستبطائه ، ولا إلى جهد كبير في الرد عليه ، لأن الأختيار واضح في البداية بين سبيلين . لكن الإزعاج يأتي من طبيعة المناخ الفكري السائد ، وهو مناخ يُنتج واقعاً ، ويفرض توقعاً .

أما الواقع فهو ما يسود المناخ الفكري والثقافي من أن الرأي الصحيح هو الرأي المريح . وأنه بقدر ما يكون الرأي مريحاً ، بقدر ما يكون صحيحاً . وبقدر ما يُزعج ، بقدر ما يكون مرفوضاً وخاطئاً . وأما التوقع ، فهو أن ينتظر منك القراء أو السامعون ، أن تترجم ما في أذهانهم ، وأن تُعبر عن دواخلهم ، وأن تتطرق بما يرددون بينهم وبين أنفسهم ، دون أفتتاع في أغلب الأحيان . وإذا أراد الحاضرون

\* محاضرة أُلقيت بجمعية تضامن المرأة العربية بالقاهرة ، بتاريخ ٢٩ / ٨ / ١٩٨٧ .

نموذجاً على ما أنكره ، فدونهم أشهر كتاب الأعمدة في الصحف المصرية . وسوف يجد القاريء أن شعبية الكاتب تتناسب طردياً مع مدى تعبيره عن دواخل الأغلبية ، بصرف النظر عن صحتها أو اعتقاده بأنها صحيحة . ولهذا تعود القراء ، أن يؤجلوا قراءة عمود كاتبهم المحبوب ، أو مقاله ، إلى ما قبل النوم . حيث تبعث عليه ، وتسرع به ، لأنها تظمن القاريء إلى أنه على طريق الصواب ، لأنه قرأ فيها صوته الداخلي . بينما لو قرأ لمثلي بعض ما أكتبه ، لقفز من فراشه وجافاه النوم ، ولأنزعج كثيراً وأنا أداعب ذلك العزيز الذي توصلد عليه النوافذ ، ويمنع عنه الهواء والنور ، وأقصد به العقل . لأنني أستخدم أداة ، تعود كثير من القراء على تجاهلها ، وهي المنطق . ولأنني أطرح عليه ما لم يتدرب على سماعه ، ناهيك عن محاورته ، وأقصد الرأي الآخر .

والحقيقة أن الكاتب من الطراز الأول مُريح للجميع ، ومرتاح إلى قبول الجميع . بينما الكاتب أو المفكر من النوع الثاني ، مُزعج للجميع ، ومنزعج من هجوم الجميع . وعلى الرغم من أساه وهو يرى الشرخ واسعاً بين رؤيته ورؤية المحيطين به ، إلا أن عزاءه الوحيد ، يتمثل في طبيعة الفكر الإنساني . لأن هذا لا يتطور إلا بأمثاله ، ولا يتجدد إلا بظهور نظرائه . وبقدر ما يمتلك الشجاعة ، ويمتلكها معه الآخرون ، بقدر ما يكون تأثيره واضحاً ، وربما واسعاً ، وربما سريعاً .



حسناً .. لتكن هذه المحاضرة نموذجاً على ما أنكره . وما دام موضوع المحاضرة هو " الفتاة المصرية وقضية الدين " ، فالمتوقع أن يلزم أصحاب الرأي المريح جانب التأكيد ، على أن رفعة شأن المرأة وحريرتها ، وكرامتها ، وحقوقها ، تتحقق جميعاً من خلال الالتزام بقيم الدين . وقد يجد مثل هذا الكاتب منعطفاً هنا ، أو ثغرة هناك . فيضيف إلى المقولة السابقة تحرزاً ذكياً فحواه " بشرط فهم الدين فهماً صحيحاً " . ولا بأس من استخدام لغتنا العربية بما تحمله من قدرة على خداع الألفاظ ، وتطوير بل وأحياناً تلويح الكلمات ، لعكس المعنى وخلاف الحقيقة .

هنا يستريح الكاتب أو المحاضر ، ويستريح القاريء أو المستمع . وهنا يجد في مواجهة أي قيد لفظاً براقاً أو مصطلحاً جذاباً . فإذا كان حجاب المرأة واجباً دينياً ، فلا بأس من وصف المرأة بأنها " الдре المكنونة " ، " والجوهرة المصونة " . وعليها أن تظل مكنونة في ثوب لا يحف ولا يشف ، ولا يكشف ولا يصف ، طالما أنها درة . ومطلوب منها أن تظل مصونة خلف النقاب أو الطرحة ، لأنها جوهرة . وإذا نظرنا إلى عملها على أنه حاجة وليس حقاً . وطالبناها بلزوم المنزل ، إن كان زوجها قادراً وذاسعة . فلا بأس أن تُنلفت نظرها إلى أنها بذلك سوف تُصبح " ملكة متوجة " . لأن البيت هو " مملكتها الصغيرة " . وبإلها من حسنة الحظ لأنها سوف تصبح من " ربات الخدور " أو " ربات الحجال " . وأستطيع أن أستاذ في عديد من الأمثلة ، كلها توحى بنفس المعنى ، وتستهدف ذات القصد ، وهو

تزييف الفعل باللفظ المعسول ، والخداع عن الواقع بسلاح البلاغة .  
بيد أن للبلاغة مدى ، ولمعسل اللفظ حدوداً ، تنتهي عندما يتطرق  
الأمر إلى أمور واضحة ، لا مجال للبس فيها . مثل حظر " الولاية " على  
المرأة ، أو رفض شهادتها في الحدود أو القصاص ، أو اعتبار  
شهادتها في غير ذلك مساوية لنصف شهادة الرجل . حيث يدور الرد  
حول أحد محورين : أولهما يفتح نافذة ضيقة للحوار ، حين يُحدثك عن  
ضعف المرأة ، وأنها مخلوق عاطفي ، وأنه يصيبها من الألام الشهرية  
ما يُخفف مرتبتها أو قدراتها عن قدرات الرجل أو مرتبته . فإذا  
جادلت ، أحالوك إلى المحور الثاني للرد . وهو محور يُغلق أمامك  
الأبواب والنوافذ ، حيث تواجه بأنه تقدير الله ، وحكمته ، وحكمه . وهل  
تعلم أنت ما يعلم ، حتى تحاور في معلوم من الدين بالضرورة ؟ . وهل  
تملك أن ترد لله أمراً أو تأتي ما نهاك عنه ؟ .

وهو محور نو منهج ، ربما دعاك لإغلاق فمك بيدك ، حتى لا  
تتد عنك عبارة ، يُساء فهمها ، أو تصدر عنك إشارة يُساء تأويلها .  
وسوف يتحدثون معك عن إقرار الإسلام للمرأة بالذمة المالية  
المستقلة ، وهي حقيقة ناصعة ، وإيجابية لاشك فيها . وسوف يحدثونك  
عن حكمة أن ميراث المرأة نصف ميراث الرجل ، بحديث سوف  
يخطف لبك ويسعد فؤادك . فهي نصفَ محظوظ ، لأن الإنفاق على  
المرأة مسئولية رجلها . وربما كان أكثر قيمة أو بركة ، من ضعف  
يُضطر صاحبه إلى الإنفاق منه على مسئولياته ، وما أكثرها . وهكذا  
وهكذا . لا تنتقل من قول مريح ، إلا إلى قول آخر يُسعدك أكثر

ويُريحك أكثر . ولا بأس من ختام تركز إليه وتنهأ ، حين يُقارن كاتبك المريح ، المستريح ، وبين وضع المرأة في الجاهلية ووضعها في الإسلام . وسوف تجد في كثير مما يعرضه عليك ، مؤثراً أحياناً بآيات الذكر المبين ، وأحياناً ثالثة أخرى بأقوال التابعين ، وأحياناً بأقوال تابعي التابعين ، وأحياناً بأقوال المحدثين . فرقاً هائلاً بين حال وحال .

وقد يخطر على بالك فجأة أنه ما هكذا تكون المقارنة أو تجب ، فمالنا نحن وما للمرأة في الجاهلية . وما أشد احتياجنا إلى مقارنة وضع المرأة في الإسلام بوضعها في إطار القيم الحضارية . بيد أنك تمسك لسانك ، وتعقل جنانك ، فأين الثرى من الثريا ، أين قانون البشر وأحوال البغاء والخطاة ، من قانون السماء ورحمة الله بالمرأة أو الفتاة ؟ .

بيد أنك لن تستطيع مع كاتبك صبراً ، وهو يحدثك عن تضيق الإسلام لمداخل الرق ، وتوسعته لمخارجه . وسوف يفلت منك تعليق مضمونه أن منع الرق لم يحدث بتعاليم القرآن ، ولا بأحكام العقيدة ، بل حدث بتأثير الحضارة ، وحرمة موثيق حقوق الإنسان ؟ . وسوف يجيبك كاتبك مبتسماً بأن الإسلام في موقفه من الرق كان متقدماً عن غيره من العقائد . وأنا شخصياً أرى أن هذا صحيح . وسوف يستكمل حديثه المنطقي الساحر ، بأن يؤكد لك أن الإسلام قد راعى ظروف العصر عندما نزل ، وعندما كان مستحيلاً أن يمنع الرق مرة واحدة . وأنه لهذا ضيق باب الرق وأوسع باب العتق ، حتى يتم الأمر بالتدريج ، وحتى ينتهي إلى ما أنتهى إليه اليوم . وربما أغراك

شيطانك بالتوقف أمام تلك العبارة العابرة "مراعاة ظروف العصر". وربما أغراك أكثر بإعادة ترديدها مشفوعة بتساؤل شيطاني، عن حكمة عدم مراعاة ظروف عصرنا الحاضر. خاصة ونحن نتحدث عن فروع الفروع، وقد تغيرت نظرتنا للأشياء، وريدود فعلنا أمام كثير من الظواهر أو المظاهر. فلا أحسب ولا تحسب أنت أيضاً، أن تعطر المرأة الأجنبية عنك أو المحرمة عليك، يُثير في نفسك دوافع الرغبة وشيطان المضاجعة. بل أحسبك تراه كما أراه محموداً، كبديل لرائحة العرق في مناخنا الحر. ولا أحسب ولعلك لا تحسب، أن المرأة التي تصل شعرها بجزء من الباروكة أو تغطيه لدواعي السرعة بباروكة كاملة، ترتكب إثماً أو تثير غريزة. ولا أحسب ولعلك لا تحسب، أن تجميل الأسنان القبيحة إثم أو دعوة لخطيئة. ولا أحسب ولعلك لا تحسب، أن تسوية المرأة لحاجبيها مدعاة لفتنة أو مقدمة لزنا. بيد أنك في هذا وفي غيره، تصطدم بأن هذا كله محله منع وتحريم. وسوف تواجه بأحاديث نبوية موثقة، بأحاديث لا بد وأن تدفعك إلى أسئلة سوف تتداعى سؤالاً وراء سؤال ..

- هل ما سبق كله يدخل ضمن أصول العقيدة أو ضمن فروعها؟.

وسوف تكون الإجابة أنها فروع ..

- هل ورد شيء من هذا في القرآن الكريم؟.

وسوف تكون الإجابة بالنفي. فكل هذا سنة قولية، عدا التعطر إذا أوردناه ضمن الزينة، وهو اجتهاد يقابله اجتهاد آخر، بأنه مُنع لضرر الرائحة الكريهة ..

- ألم يُفِت كثير من الفقهاء بأن سنة الرسول في الزي والعلاج ملزمة لعصره ، وليست ملزمة لما يليه من العصور ؟ .  
والإجابة بالإيجاب .

- ألا يجوز أن نحمل أقوال الرسول في هذه الأمور على نفس المحمل ، وأن نقيسها بنفس المقياس ، خاصة وأن شيئاً منها في عصرنا لا يُثير فتنة ، ولا يحرك شهوة ، ولا يُشغل في نفوسنا أي إحساس بالإستتكار أو الفزع أو الإثم أو الخطأ أو الخطيئة ؟ .

وهنا لا بد أن أنبهك أيها المستمع إلى أنك قد خرجت على كاتبك المريح ، وودعت إلى غير رجعة منهجه المستريح . وانتقلت على حين غرة إلى موقع المزعجين ، وفزعت فأفزعت ، وأنزعجت فأزعجت . ولأني مثلك مُفزع مُزعج ، يطيب لي أن أحاورك ، طالما أن الساحة قد أخليت للمنطق ، والمساحة قد اتسعت لإعمال العقل ..

وابدأ فأقول ، إن الأسئلة التي راودتك خطيرة . والأجابات التي أوردت أخطر . ومثلي يُقدر حسن نواياك ، ورغبتك الجارفة في أن لا يصطدم في عقلك العزيز ان (الإسلام والعصر) . وأنا مثلك تماماً ، تُورقني نفس الرغبة . غير أنني أعيد ترتيب المسائل على نحو مختلف ، وأرى أن المشكلة كلها تكمن في نقطة البدء التي تحكم منهج التفكير ، وهي التفرقة بين ما هو عام وما هو خاص ..

إن قضية المرأة وحقوقها ، قضية عامة . وأي قضية عامة تقف على مفترق طريقين . ولك في البداية أن تختار بينهما . أما الطريق

الأول فهو الاحتكام إلى ما يسود المجتمع حالياً ، وهو مجتمع مدني تحكمه القوانين المدنية ، ويسوده الدستور والقانون والمواثيق الدولية، وعلى رأسها إعلان حقوق الإنسان . هذا طريق قائم وواقع وسائد . أما الطريق الثاني فهو الطريق الذي ينتصر له أنصار الدولة الدينية ، وهو واقع يستهدفه هؤلاء الأنصار ، ويرفضون من خلاله واقع المجتمع السائد ، وإطاره المدني المُمثل في الدستور والقانون وحقوق الإنسان . ويُعبرون عن هذا الرفض بالاحتكام إلى بديل آخر ، وهو القرآن والسنة ومصادر الفقه الأخرى ، مثل الإجماع والقياس وغيرهما . فإذا أُخترت البديل الأول ، وهو ما أختاره ، وأدعو إلى اختياره والإصرار عليه ، فإياك أن تتصور أن ذلك يعني رفض البديل الثاني . وإنما يعني تأجيله إلى مرحلة لاحقة ، وفي إطار أضيق ، وهو إطار الخصوصية . حيث تُصبح بعد اختيارك الأول أمام اختيار خاص بك ، يثيبك الله عليه أو يعاقبك . وتقبل منه ما تقبل ، وتفعل من خلاله ما تفعل ، وحسابك على الله . أما الاختيار الثاني أو التالي ، فهو أن تُحدد موقفك الشخصي ، لا موقف المجتمع ، من قواعد الدين ومثله وقيمه . وهنا تتعدد بك السبل . فقد تقبل هذه القواعد جميعاً ، وتتبعها جميعاً ، وتجمع بين دينك ودنياك ، وحياتك الدنيا وآخرتك . وهذا حقك واختيارك . وقد تقبل الأصول ، وتجتهد في الفروع ، وحسابك على الله بقدر أجتهدك ، وبقدر صحة هذا الاجتهاد . وقد تقبل ولا تفعل . وقد تفعل ولا تقبل . وقد لا تفعل ولا تقبل . وهذا كله اختيار من اختيارات ، وسبيل من سبل . وهو في النهاية موقف خاص بك

إلى أقصى حد ، واختيار شخصي لك بلا شك ، ومنهج فردي لا يفرض موقفاً على أحد ، ولا يفرض عليه وصاية من أحد ..

ومادما قد وصلنا إلى هذه النقطة ، فإن المحاضرة بأكملها تصل إلى طريق مسدود . لأنني أدعوك إلى القبول بمنهج للتفكير ، ولا أدعوك إلى اختيار أسلوب في التعبير أو الحياة أو السلوك . وإذا وافقت معي على المنهج الذي توصلت إليه ، فإن عليك أن توقفت إن استظرت في شرح تصوري أو إعلان أجتاهدي بشأن القضايا التفصيلية . لأنني مُسلم معك بأنها خصوصية ، وأنها اختيار شخصي . وأنها تلزمني ولا تلزمك . وأنه مادام حسابي على خالقي فيما أجتهد فيه ، وأسلكه ، فما حاجتي إلى فرضه عليك ولو بالسمع ؟ . وما حاجتك ، ولك أجتهدك واختيارك ، وعليك وحدك تحمّل نتائج هذا الاختيار ؟ . ولعلك ترى معي ما يؤكد لك مقولتي في بدء الحديث ، من أنها محاضرة مزعجة بالفعل ، لأنها لا تنتهي بما توقعت مني . فلاشك أنك أنتظرت مني رأياً في الحجاب ، أو النقاب ، أو حق المرأة في العمل ، أو نصيبها من الميراث ، أو تهذيبها بالضرب غير المبرح ، أو عدم قبول شهادتها ، أو عدم قبول ولايتها . ولعلك تضرب كفاً بكف وأنا أحيلك إلى الدستور والقانون وميثاق حقوق الإنسان . ولعلك إن تمنعت قليلاً فسوف تشعر براحة كبرى ، حين تتبع منهجي ، فتهرب ممن يفرضون عليك ما لم يفرض بعد ، وما لا أعتقد أن أحداً يملك فرضه ، غير ضمير الشخص نفسه ، وغير عقيدته بينه وبين نفسه ،

وبينه وبين خالقه . وسوف أكرر دائماً على مسامعك ، ولا أمل من التكرار ، أني أقبل بالدستور والقانون وحقوق الإنسان فقط فيما يتعلق بعلاقتك بالمجتمع . وحسابك في هذا على المجتمع ، وبالدستور والقانون . أما إيمانك وتدينك ، وطاعتك لله وتعبدك ، وقبولك لأوامر الله ونواهيه ، فحسابك في ذلك على الله . ورجاؤنا الاتلح على أذهاننا أو أذاننا في هذا كثيراً أو قليلاً ، فنحن نقرأ ونبحث ، ونفحص ونمحص ، ونختار في النهاية ما نختار .

يبقى في النهاية تعليق أخير ربما يبعث على الإبتسام . فقد لاحظت وأنا أكتب ، أنني أوجه حديثي إلى الرجل وليس إلى المرأة ، رغم أن الندوة في جمعية تضامن المرأة ، ورغم أن المتوقع هو أن تكون الحاضرات أغلبية . وصدقوني أنه خطأ غير مقصود ، ربما كان سببه خوفاً من هروب المنطق وتلعثم البيان . وما أكثر ما حدث ذلك أمام امرأة واحدة ، فما بالكن بجمع غير أثير ..



## مجرد سؤال

**قصة المقال :** فجأة امتلأت صفحات الرأي في الصحف ، ويريد القراء المنشور فيها ، بمطالبات مزعجة ، تدعو إلى تطبيق أحكام الأعدام علناً ، وفي ميدان عام . مع تلميحات وأشارات إلى أن ذلك هو منهج الإسلام . وأن هذا هو التطبيق الدقيق لتعاليمه . وكان بوسعي أن أصمت كما صمت الجميع ، لولا أن ذلك يُناقض طبعي ، ويتناقض مع ما أعرفه من صحيح الدين ، وما أحترمه من حقوق الإنسان . والطريف أن هذا المقال " مجرد سؤال " قد أزعج الكثيرين من أصحاب الميول السادية ، فأنهالوا عليّ باللوم والتعقيب والرفض في بريد القراء مرة أخرى . فكان ردي عليهم ، الذي اعتبره مُكملاً للمقال وعنوانه : قلت ، وأقول مرة أخرى .

### المقال : مجرد سؤال \*

أمامي مقال يدعو إلى عقاب مرتكب جريمة الأغتصاب بالإعدام، على أن يتم التنفيذ في ميدان عام ..

---

\* نشر في جريدة الأهرام ، بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٨٨ .

أما إعدام المغتصب فلا أعترض عليه . ولا محل للمطالبة به ، لأن القانون الحالي ، والذي يحلو للبعض أن يُسميه بالقانون الوضعي ، يصل بعقوبة جريمة هناك العرض ( وهي جريمة واسعة وفضفاضة ومطاطة ) إلى الإعدام . والجديد هو إضافة المطالبة بالتنفيذ ( علناً ، وفي ميدان عام ) ، تلك المطالبة التي كثيراً ما ترد في بريد القراء بالصحف ، وكثيراً ما تتوارد على ألسنة العامة ، هي التي تدفع إلى التساؤل ..

ما الذي حدث لنا؟. هل أصبحنا شعباً شديد القسوة بهذه الدرجة؟. إنني لا أتحدث هنا عن جريمة الإغتصاب تحديداً ، وهي جريمة بشعة. لكنني أتحدث عن السادية التي تتبعث من هذه المطالبة ( علناً ، وفي ميدان عام ) ..

ألا يكفي الحكم بالإعدام ، وألا يكفي العلم بالتنفيذ .. ألا يكفيان وحدهما للردع؟. ألم يتصور المطالبون بذلك مدى بشاعة هذا الإجراء ( التنفيذ علناً ، وفي ميدان عام ) .. وهل يتحمل فرد منا أن يُشاهد كلباً يرمجه بعض الأطفال حتى الموت ، أو قطة يقوم بعض الصغار بذبحها؟.

أن الكلام سهل ، وترديد ما يردده الآخرون أسهل ، لكن تبقى الإنسانية واحترام المشاعر ، بل والرفق بها دوماً .

أي متعة يُمكن أن تحدث عند مشاهدة جنّة رجل أو امرأة معلقة في حبل مشنقة في ميدان؟. وما الذي ينطبع في ذهن طفل عند

مشاهدة هذا الهول ؟. وكيف تكون مشاعره عندما يُصبح يافعا، ويتعرض في تعامله اليومي لما يُمكن أن يتعرض له الجميع من غضب وكره وخيانة من الآخرين أو إهانة منهم . ثم يقفز إلى ذهنه فجأة هذا المنظر الذي تعود عليه، لجثة معلقة من رقبتها، مدلاة الرأس، تهزها النسومات يمنة ويسرة .. ألا يصبح القتل إلى نفسه أقرب ، والقسوة بوجوده الصق ، والأنتقام أيسر ؟. مجرد سؤال ..

لقد أهتمت مشاعر المصريين ، وأنهالت مئات الخطابات للأحتجاج ، عند نشر صورة الزوجة السويسية ( التي قتلت زوجها، وقطعت جثته ووزعتها على صناديق القمامة في أكياس نايلون ) . أقول فزع المصريون لرؤية صورها وهي موتقة اليدين أمام حبل المشنقة قبل لحظات من التنفيذ . وكانت دلالة الأحتجاج ، أنه لا تزال في قلوب المصريين رحمة ، ولا يزال رصيد الإنسانية وأحترام الأدمية موجوداً في نفوسهم وفي ضمائرهم ..

إنني شخصياً لا أتحمل أن أرى دجاجة تُذبح أمام عيني . وما أكثر ما نهيت أطفالي عن مشاهدة ذبح خروف العيد ، لأنه منظر مفزع . ولست أتصور أنني مُرهف الحس إلى درجة الشذوذ . لأن الدم هو الدم ، والعذاب هو العذاب ، والموت هو الموت . ومن لا يرحم لا يرحم . وإذا كنا نقتل الحيوان أو الطير مضطرين ، فهذا شيء ، والأستمتاع به شيء آخر ..

ربما سألني البعض عن سبب الكتابة في هذا الموضوع، وإجابتي:

ليس لشيء إلا لإزاحة عبء نفسي كان جائئاً على صدري ،  
وأنزاح بكتابتته ..

### تعقيب منشور : قلت ، وأقول مرة أخرى \*

أتابع التعليقات على مقالتي الراض لعننية تنفيذ الإعدام في الميادين العامة. وكنت أود عدم المداخلة، خاصة وأن هناك المؤيد والمعارض، الأمر الذي يتيح للقراء فرصة التعرف على وجهتي النظر . لولا أن المؤيدين لعننية العقوبة، قد ركزوا على تأصيلها فقهيًا ، وصوروا الاعتراض عليها ، على أنه رفض لحكم قرآني قطعي .

ولهؤلاء أقول ..

أولاً : لم يرد في القرآن الكريم كله ، نص على علنية العقوبة، إلا في آية واحدة خاصة بجلد الزناة ( وليس رجمهم ) . وهي الآية الثانية من سورة النور . وعدا هذه الآية ، خلت الآيات التي نصت على العقوبات الأخرى ، من أية إشارة صريحة أو ضمنية إلى علنية العقوبة .

ثانياً : ورد نص العلنية المشار إليه في الآية السابقة بالنص التالي [ وليشهد عذابهم طائفة من المؤمنين ] . وفي التفسير ( يُقصد بطائفة من المؤمنين ، رجل أو رجلان فصاعداً ، لكي يحفظوا الحد ) . وفي

---

\* نشر في بريد القراء في جريدة الأهرام بتاريخ ١ / ٢ / ١٩٨٩ ، تعليقاً على خطيبين نشرنا في نفس المكان ينتقدان ما نكرت، وخطاب واحد يؤيد .

معاجم اللغة ، الطائفة واحد فأكثر أو اثنان فأكثر . وأنظر وتأمل في  
حكمة الله جل شأنه . ولو شاء لقال " وليشهد عذابهما المؤمنون " لكنه  
ضيق برحمته ما لم تتسع بعض القلوب لفهمه وأسنيعابه . والله في  
خلقه شئون .

ثالثاً : وحتى لو أجتهد البعض مع النص السابق ، وأفتوا بعلنية  
كل العقوبات ومنها الإعدام ، فإن من يحضرون تنفيذ حكم الأعدام  
في بلادنا بحكم وظائفهم ، يزيدون عن عشرة أفراد ، أي أكثر من  
خمسة أضعاف أقصى التقدير للحد الأدنى للطائفة . وفي هذا تطبيق  
والتزام بالنص القرآني .

رابعاً : قلنا ونقول إن رأينا مُنصب على العلنية وليس العقوبة .  
وأنه محدد في الرد على المطالبين بالإعدام في الميادين ( مع النقل  
التليفزيوني ، كذا ) . ومن هنا فلامحل للغمز بالحديث عن " رأفتنا  
بالمحكوم عليه " لأن الإعدام ذاته عقوبة قاسية لا رأفة فيها ولا شفقة .  
ولا مجال لأستدراك الخطأ فيها لو حدث .

خامساً : قد يرى البعض أن علنية التنفيذ في عهد الرسول سنة  
فعلية واجبة الأتباع . ورأينا في هذا أن علنية العقوبة كانت سمة  
عصر الرسول ، بل سمة عصور قبله وعصور بعده . وأنه يجوز أن  
تُحمل على محمل الزي والعلاج ، وهما بابان من أبواب السنة  
الشريفة ، يرى أغلب الفقهاء أن الرسول قد تأسى فيهما بعصره . ولا  
ينصرفان لغيره من العصور . وهذا بالطبع فيما لم يرد فيه نص قرآني  
قطعي .

سادساً وأخيراً : أردت بتوضيحي هذا أن أؤكد على أن للأجتihad في الإسلام أبواباً تتسع للرحمة والإسلام دينها ، وللإنسانية والإسلام راعيها ، ولحقوق الإنسان والإسلام حارسها . وأن تنفيذ الإعدام بصورته الحالية لا يُخالف نصاً قرآنياً . وأن التركيز على الرحمة في الإسلام ، أقرب إلى روحه من التماس القسوة ، وأيسر تناولا وأقرب سبيلا . أما من أستمع بفصل الرقاب وقطع الأيدي ، وصفق مع المصنفين ، وهتف في طرب مع الهاتفين ، فقد أضاف إلى معلوماتي جديداً . فقد كنت أتصور أن قصد العلانية هو الردع ، وفاتني أن البعض يقصدون المتعة . وجل من لا يسهو .

## ملحق رقم ( ١ )

نص رسالة شيخ الأزهر للأستاذ فهمي هويدي والمنشورة في  
جريدة الأهرام بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٨٨ .

رسالة من شيخ الأزهر

الأستاذ فهمي هويدي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

فقد أطلعت على ما كتبت على مدى أسابيع ثلاثة تحت عناوين  
"حديث الإفك" و "الإسلام السياحي" و "ثروة مربية في الدين" ،  
ولقد سرني وأثلج صدري محتوى هذه المقالات ، سلمت وسلم  
قلمك..

ووني لأتساءل معك يا أخي : من الذي يُسلط أمثال هؤلاء على  
الإسلام والمسلمين ؟. ولحساب من يعملون ؟. ومن الذي يُمكنهم من  
هذه المساحات في بعض الصحف، ينشرون عن طريقها تلك السموم  
التي توجه إلى أبناء مصر بخاصة، وإلى شعوب الأمة الإسلامية  
بعامة ؟.

إذ أنها متى أخذت موقعها في مصر الأزهر ، رائدة المسلمين  
وأملهم ، أصبحت حرية بأن تكون موضع النظر والأسى والأسف  
في غيرها من الدول الإسلامية تحت هذه العناوين السوء .

تُرى من وراء هذا المخطط الذي تبنته بعض الصحف والمجلات  
في مصر ، وهذه المطبوعات التي تظهر بين الحين ، والحين لتصد  
عن سبيل الله .. ولتصرف الناس كل الناس عن طلب الاستقامة  
وتصحيح المسار ؟.

إنهم بهذا المخطط يُناهضون طلب الإصلاح بالإسلام .. وهو  
الأصلح للحياة .

تُرى هل يجوز في عرف العقلاء أن نكافح جراثيم الأمراض  
والأوبئة ، ونترك تجار أوبئة الفكر ومروجي أحاديث الإفك يضلون  
الناس ، ويشغلونهم عن القضايا الجادة في حياتهم ، ويحاولون زعزعة  
عقيدة الإسلام في قلوب أهله - وما هم ببالغي ذلك بإذن الله:  
[ يريدون ليطفنوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ]  
.. كل ذلك بأسم الحرية التي أساعوا فهمها وأستعمالها .

يا أخي : لست في مقام مناقشة بعض هذه الكتب من إنتاج هذه  
الفئة التي استمرت سكوت العلماء والكتاب عن تعقب إفكها وفضح  
مخططاتها . وإنما أردت أن أشد على يدك .. وأدعو كل ذي قلم  
منصف أن يقول كلمة حق .. وأن يُبريء ساحة الإسلام - وهي



بريئة بحمد الله - من هذا الإفك .

إنني أدعو الكتاب وأصحاب القلم أن يواجهوا في الصحف كل فكر مفتر على الإسلام .. وأن يذبوا عنه وعن المسلمين هذا الذباب الموجه إلى موأندهم الإسلامية ، لتظل بعيدة عن هذا البلاء الذي أوشك أن يحل بساحتهم .

إن أولئك الذين يتباهون بأنهم يتحدثون عن الإسلام بهذه المفاهيم الفاسدة، ينبغي أن يواجهوا في كافة الساحات ومن سائر القنوات، فإن معظم النار من مستصغر الشرر .

إن أمن الأمة في حاجة إلى مواجهة جادة لهذا الفكر ، الذي يشيع الفتنة . وذلك واجب أهل العلم وأصحاب القلم ، كما هو مسئولية كل ذي مسئولية في مكافحة الخروج على النظام ومثيري الشغب ، والمنتسبين زوراً إلى مالا يُحسنون ، والمضفين على أنفسهم صفات وألقاباً تتجاوز واقعهم ، بل وتصفح عن خبيثة نفوسهم : [ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ] .

وفتك الله لقول الحق ونشره ، وأثابك وأمدك بروح من عنده .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

## ملحق رقم (٢) الإفتتاحي

النص ( التاريخي ) الكامل لمقال الاستاذ  
مصطفى كامل مراد رئيس حزب الأحرار  
بجريدة الأحرار بتاريخ ٧ يوليو ١٩٨٦

رأي المعارضة

كنز قارون !! وهل يبحثون !!

قال تعالى في كتابه الكريم في سورة القصص آية ٦٧ " إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتيحه لتتوء بالعصبة أولى القوة " .. إلى آخر الآية .. ثم قال تعالى في نفس السورة ( آية ٨١ ) " فخشفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين " .

والمتمعن في هاتين الآيتين الكريمتين يتضح له أن قارون كان من أثرياء مصر، وكان من قوم موسى، أي أنه كان يهودياً. ولكنه لم يكن من المؤمنين بموسى عليه السلام، ولكنه كان ممالئاً لفرعون، شأن بعض الأثرياء حينما يمالئون أو ينافقون السلطان، طمعاً في زيادة ثرواتهم وخوفاً من بطشه . ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد

وصفه بأنه بغي، أي طغى وأعتدى على أهله من اليهود. وأوضح الله سبحانه وتعالى أن قارون كان واسع الثراء، حتى إن مجموعة من الرجال الأثوياء كانت تحمل بصعوبة مفاتيح كنوزه. والعصبة كما نعلم تتراوح بين سبعة وعشرة رجال. والرجل القوي عادة يحمل ما يقرب من مائة كيلو، أي أن وزن مفاتيح الكنوز يصل إلى ما يقرب من طن. فما هو يا ترى حجم الكنوز إن؟.

لاشك أنها كنوز كبيرة ضخمة، حتى أن الله سبحانه وتعالى وصفها هذا الوصف، الرائع الدقيق في كتابه الكريم. وأن الله سبحانه وتعالى قد خسف به وبداره الأرض، عقاباً له على طغيانه وكفره. أي أن قارون وداره، وما تحمل من كنوز، قد هبطت في الأرض. لأن المعروف في ذلك الزمان أن الأثرياء كانوا يحتفظون بكنوزهم في دورهم، والذهب والفضة والمجوهرات معروف أنها لا تبلى ولا تتآكل بمضي الزمن، وهذا يعني أن كنوز قارون مستقرة في مكانها في حطام داره في باطن الأرض على وجه اليقين. وأنها كنوز ضخمة كبيرة، حتى أن الله تعالى وصفها هذا الوصف المحكم في قرآنه الكريم، الذي نؤمن به ويؤمن به كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من عزيز حكيم ..

والذي أهدف إليه من هذا المقال هو أن أسترعي نظر الحكومة إلى ما يأتي :

أولاً: إن يقوم بعض الأساتذة والعلماء من المصريين المتخصصين في التاريخ المصري القديم ، لمعرفة من الفرعون الطاغية الذي عاصره موسى عليه السلام ؟. ودعاه إلى الإيمان بالله فأبى . لأن قارون الواسع الثراء كان يهودياً من أهل موسى ، وكان معاصراً لذلك الفرعون ، ومما لنا له ضد موسى عليه السلام ودعوته الحق . وأن يحاولوا معرفة المكان الذي كان يعيش فيه قارون ، وهل هو في مكان بحيرة قارون الحالية ، أم هو في مكان آخر ؟. وأغلب الظن أنه كان يعيش في الفيوم ، أي في المنطقة التي تقع فيها بحيرة قارون . وأغلب الظن أيضاً أنها سُميت باسمه . وقد يكون ظناً أن بحيرة قارون قد ظهرت نتيجة لهذا الخسف، الذي فعله الله تعالى بدار قارون. هذا ما نطلبه من الحكومة ، ومن المؤرخين المصريين ، وغيرهم من المتخصصين في التاريخ المصري القديم .

ثانياً : أن تطلب الحكومة من علماء الجيولوجيا ، أي علم طبقات الأرض أن يبحثوا عن التركيب الجيولوجي لمنطقة بحيرة قارون. فقد يكن ذلك الكنز الكبير على بعد أمتار من قاع البحيرة ، كما حدث في أسطول نابليون الذي تم اكتشافه أخيراً .

ثالثاً : أن يقوم د. عبد الهادي قنديل وزير البترول، بتكليف بعض الشركات المتخصصة ، للبحث والتنقيب واستخدام الأجهزة العلمية الحديثة للأستشعار عن بعد ، والأقمار الصناعية ، للبحث في بحيرة قارون وما جاورها . لعل وعسى أن نجد هذا الكنز العظيم الذي ورد

في كتاب الله الكريم، فيصبح حدثاً تاريخياً يهز الدنيا من أقصاها إلى أقصاها. ويكون فاتحة خير على البلاد لفك ضائقتها الاقتصادية<sup>(١)</sup> ..

بقيت بعد ذلك نقطة قد تُثار من اليهود ( وإسرائيل ) حول هذا الكنز، ومطالبتهم بالتحكيم في شأنه ، على اعتبار أن قارون كان يهودياً بنص القرآن الكريم ، لأنه كان من أهل موسى عليه السلام. فإن حدث هذا، ولاشك أنه سيحدث إن وجد الكنز ، فإننا نقبل التحكيم فوراً . وحجتنا في ذلك دامغة قاطعة ، كما هو الحال في طابا<sup>(٢)</sup> !! .. التي فيها يمترون وهي ..

١- إن قارون وإن كان يهودياً ديانة ، إلا أنه مصري بحكم جنسيته.

٢- إن الكنز إن وجد في أرض مصر ، فهو ملك لمصر طبقاً للقانون الدولي .

٣- وإذا فرضنا أن إسرائيل جادلت في الحقوق الثابتة كعادتها، فإن رجال البنوك يقولون أن مصاريف حفظ الذهب والمعادن الثمينة والمجوهرات ، تبلغ واحداً في الألف سنوياً . فإذا كان عمر الكنز ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة تقريباً، فمعنى هذا أن مصر من حقها مصاريف حفظ تبلغ ثلاث مرات ونصف قيمة الكنز<sup>(٣)</sup> .!!!

---

(١) يا سلام .

(٢) شوف تراهي ..

(٣) يا عيني ..

بقيت كلمة أقولها للحكومة المصرية ، وهي أنه إذا فرض ووجد ذلك الكنز، فلا أقل من أن يكافأ حزب الأحرار بتسليم مقراته السبعة عشر التي استولى عليها الحزب الوطني، وما زال يجادل ويُماري في تسليمها، برغم وضوح حق حزب الأحرار فيها . فتفك بذلك ضائقة المقرات التي يُعاني منها حزب الأحرار، ويرتفع عدد مقراته من ستة وعشرين مقراً إلى ثلاثة وأربعين مقراً !! . وهذه هي مسئولية د. يوسف والي أمين عام الحزب الوطني، خاصة وأن اسمه على اسم الصديق يوسف عليه السلام ، وهو من الفيوم، أي من منطقة قارون، ولكنه ليس من أهل قارون على وجه اليقين !! .

هذا هو كنز قارون كما ورد في كتاب الله تعالى، فهل يبحثون !!؟

وهل ينقبون !!؟

مصطفى كامل مراد  
الأحرار ٧ يوليو ١٩٨٦

## ملحق رقم (٣)

النص ( الطريف ) للسؤال عن فرعون موسى ، والإجابة بقلم  
الشيخ يوسف البدري عضو مجلس الشعب . وقد نشر ذلك في  
الصفحة الثانية من جريدة النور - باب فتاوى وأحكام - العدد ٢٥٥  
بتاريخ ٢٨ / ١ / ١٩٨٧ .

فتاوى وأحكام يقدمها - محمد عبد الهادي

أجاب عن أسئلة هذه الحلقة فضيلة الشيخ يوسف البدري

فرعون مصر هو قابوس بن مصعب

قال تعالى : [ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون  
وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي  
آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت  
من المفسدين فاليوم ننجيك ببندك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من  
الناس عن آياتنا لغافلون ] من المراد من فراعنة مصر من خلال هذه  
الآية الكريمة ؟ .

عصام الشريف - مأمون

احاديثية

ذكر ابن الأثير في كتاب الكامل في التاريخ ١/ ١٦٩ أن فرعون مصر في أيام موسى عليه السلام هو قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني ثم مات بعد أن نودي موسى ، وتولى مكانه الوليد بن مصعب وكان أعتى من قابوس وأفجر ، وقد تزوج الوليد زوجة أخيه أسية بنت مزاحم .

ومعنى الآية كما ذكر ابن الأثير ..

بعد أن بلغ بنو إسرائيل إلى البحر .. وأيقنوا بالهلاك . تقدم موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق ، وصار فيه اثنا عشر طريقاً .. وعبروا حتى خرجوا ، ودنا فرعون وأصحابه من البحر فرأى الماء على هيئة .. فافتحم حتى إذا هم أول جنده أن يخرج ، وكان قد دخل آخرهم أمر البحر أن يأخذهم ، فالتطم عليهم ، فأغرقهم ، وبنو إسرائيل ينظرون إليهم . وأنفرد جبرائيل بفرعون ، يأخذ من حماة البحر فيجعلها في فيه ، وقال حين أدركه الغرق أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل ، وغرق . فبعث الله إليه ميكائيل يعيره ، فقال له " الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين " .

وقال جبرائيل للنبي صلى الله عليه وسلم : لو رأيته وأنا أفس من حماة البحر في فم فرعون ، مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها . فلما نجا بنو إسرائيل قالوا : إن فرعون لم يغرق ، فدعا موسى ، فأخرج الله فرعون غريقاً .



## ملحق رقم ( ٤ )

رد الأستاذ أحمد عبد السلام أحمد  
( هيئة إحياء النشاط الإسلامي )  
على مقال ( تعليق لطيف على بيان سخيف )  
الرد منشور في صحيفة الأيام السودانية  
بتاريخ ٢٢ أبريل ١٩٨٨

رد على تعقيب الدكتور فودة  
الإسلام باق بإرادة الله وجهاد المؤمنين

نشرت صحيفة الأيام الغراء بعددها بتاريخ ٦ / ٤ / ١٩٨٨ في باب منبر الرأي ، تعقيباً للدكتور فرج علي فودة ، يكتبه من القاهرة ، معقباً على بيان لهيئة علماء السودان . وقد نشر المحرر بجانب المقال تعريفاً لشخصية الكاتب ، فجزى الله المحرر خيراً على ذلك ، فقد أخرجني من حيرة ، لأن كلمة دكتور هي لقب علمي يدل على تخصص في فرع من فروع المعرفة . وأني حين أقرأ مقالاً عن الطاقة مثلاً بتوقيع دكتور فلان ، أفهم أنه متخصص في الطاقة ، أو عن الملاريا أعرف أنه متخصص في الملاريا ، وكذلك الكلى ونحو ذلك . حتى أصبحنا نعلم أن دكتور الأنف لا يُقبل رأيه في العيون ، مع أنها كلها في الرأس . ولكن مع أعراف المتخصصين لكل فرد في تخصصه

الذي أفنى فيه جزءاً من عمره، فإن بعض حملة لقب دكتور، بل كثير من المتقين، يرفض أن يعترف بأن علوم الدين هي علوم يجب أن يسلم كل فرع منه لمن تخصص فيه .

بل كثير منهم غره علمه بمعلومات عامة، أن يتكلم في الإسلام بهواه. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ( من تكلم في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار )<sup>(١)</sup> . والدكتور فودة يُنكر علينا في أول تعقيبه أن ننكر عليه الحديث، لأن الأمر هم سوداني . ونحن لا ننظر هذه النظرة القاصرة، بل فهمنا كما علمنا الإسلام، أن العلم لا وطن له . كما أن المؤمنين أخوة بينهم التراحم والتناصح .. ولو كتب الدكتور في تخصصه الزراعي، وحدثنا عن أمثلة الطرق للنهضة الزراعية ببلدنا، أو عن وسائل الري أو نحو ذلك، لشكرنا له ما تبرع به، مع امتلاء بلدنا والحمد لله بعلماء الزراعة . ولو كان كاتب المقال لديه أدنى علاقة بعلوم الإسلام حسب تخصصه أو بحوثه التي قدمها، لقبنا قوله في حدود علمه. ولكن كل ذلك لم يكن. ولعل المقال كان دعاية لحزبه تحت التكوين وتقديم لبرامجه .. وهو أنه لا يريد أن يحكم الإسلام في أي بلد مسلم، لأن الحكم بالشرعية ليس ركناً من أركان الإسلام. وعليه فهو خصم مناويء لكل من يدعو إلى ذلك. لقد امتلأ المقال بإساءة للعلماء، وسخر بالقرآن وهو يحسب أنه يسخر بالعلماء :

---

(١) صحة الحديث كما ورد في كتب السنن (من كذب عليّ عمداً متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) .. المؤلف .

وقد نال البابا منه من الأحرار ما لم يجده إخوانه في الإسلام. وسأبين ذلك بردي على بعض الفقرات أو أهمها :

قال الدكتور وهو ينقد عنوان البيان ( الإسلام باق وشريعته قائمة وإن كره بابا الفاتيكان ) يقول : أما أن الإسلام باق فهذه إرادة الله لا إرادة العلماء . نعم، إرادة قاضية أن يحفظ القرآن، وإرادته قاضية أيضاً أن يُقيم المؤمنون شرع الله ، وأن ينتصروا على كل ما وقف في سبيل إقامة شرع الله . ولكن الله الذي علم ذلك وقضاه ، فرض على رسوله أن يُجاهد ، ولم يسمح له أن يتكل على قضاء الله وقدره بغير عمل وجهاد. وقد بين الله ذلك بقوله ( ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ) الآية ٤ سورة محمد. وقد حَفِظَ الإسلام في سلوك الناس وفي آدابهم وأحكامهم ، بفضل جهاد المؤمنين من الصحابة ، فمن بعدهم . ولكن الدكتور فودة يريد من العلماء أن يصمتوا ، حتى يستطيع أن يضل هو وأمثاله البسطاء من المسلمين ، ليكون حزبه، ويقوم دولته العلمانية. ولكن العلماء لن يصمتوا لأن الله أمرهم بالكلام ، وبالجهاد ، ولن يرهبهم أحد إن شاء الله . وما كان العلماء يوماً حكاماً ، منذ انحسر الاستعمار عن بلادنا الإسلامية . ولو تولى العلماء الحكم يوماً، لشهدت عودة الإسلام كما كان في عهد عمر بن عبد العزيز . ولكنهم يكتفون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للحاكم، فمن أستجاب هدى ، ومن أبى فالثبت حسبه.

ويتساءل الدكتور عن السند من الكتاب والسنة الذي أسند إليه العلماء ليكنوا هيئة العلماء . وكان السؤال يُفهم أن الدكتور رجل مؤمن يرجع الحق إذا علم الدليل . وإليك يقول الله تبارك وتعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ) ١٠٤ آل عمران . وقال تعالى [ ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفوس كل فرقة منهم طائفة ليفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ] . فهئية علماء السودان جماعة من العلماء اجتمعوا ليقوموا بما أمرهم الله به من أمر بمعروف ونهي عن منكر ، وتعليم للناس أمور دينهم وحقائقه ، حتى لا يكونوا فريسة للجهل . وأن حملوا الألقاب العلمية في الحشرات والناموس والطاقة الذرية ، فكل مطلوب منه أن قوم بدور في الحياة . وقد قاموا بدورهم ، ولم يدع أحد منهم أنه وصي على الناس ، أو واسطة بين الناس وربهم ، كما يدعى من تدافع عنه أو عن أفكاره على الأقل . وإني سائله هل أسند إلى شيء من الدين ، عندما كون حزبه ، وأن يدعو إلى البعد عن توجيهات الله في الحكم والمعاملات ، ويحصر الدين في الصلاة والصوم والإجازة يوم الجمعة واحتفال الأعياد؟ . ماذا يقول لله يوم يلقاه ، وقد وقف في صف الذين يصدون عن سبيل الله؟ .

ثم يسخر الدكتور المسكين - وأقولها بحق مشفقاً عليه - لأنه سخر من العلماء ، وسخر من القرآن ، إذ يقول وهو يرد على قول

العلماء وبالإسلام تتحقق البركة في المعاش وبسط الأرزاق ، يقول راداً ذلك وما أجدر من يتاجرون بشعار البركة ، أن يرجعوا البصر في العالم ، فيرتد البصر خاسئاً وهو حسير . حين يرونها تحل في الولايات المتحدة الأمريكية، وتنزل أهلاً في الأقطار الأوروبية ، وتمرح سهلاً في أعتى قلاع الشيوعية، بينما نلتمسها نحن فلا نجدها، ونبحث عنها فتعز علينا ، ونغازلها فتأبى الخ ما قال من غزل في المتاع المادي الذي يعيشه بعض أهل الكفر، ولم يُحرم منه بعض أهل الإيمان . فيها هو الفرد في السعودية مثلاً يتمتع بكل ما يتمتع به الأوروبي وغيره ، ولكن في حدود ما أذن الله فيه ، مع هناة نفسية لا يجدها الأغنياء الذين ينهون حياتهم بالانتحار في أمريكا . وتلك مقارنة تحتاج فلسفتها لمقال أو كتاب ، ولكن أقول للدكتور: ألم تعلم أنك سخرت من القرآن والعياذ بالله ، فإله يقول [ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ] ٩٦ من سورة الأعراف - ومعنى آمنوا واتقوا أنهم بعد الإيمان ، نفذوا ما أمرهم الله به من واجبات ، وأنتهوا عما نهاهم عنه من محرمات ، ومن الواجب أن يحكموا شرع الله في كل حياتهم ، فهل تُتكرر أن الآية من القرآن لم تكذب وعد الله ؟. أيهما قلت: فقد كفرت . ويقول الله تعالى بنص أوضح لمن لا يُجهد عقله [ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ] الآية ٦٥ سورة المائدة. وهذا إخبار عن الجزاء في

الأخرة . أما بركات الدنيا بإقامة حكم الله ، فيقول عنها [ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما كانوا يعملون ] .

فهل تُتكرر الآية أم تكذب الوعد ؟. ليهما قلت ، فقد كفرت . وقد يقول أحد لم تخلف وعد الله عندما طبق نميري الشريعة ، وهنا أقول مع القائلين ، الصادقين الذين يقصدون وجه الله ، وليس مع الذين يريدون أن يمنعوا إقامة شرع الله . أقول إن التطبيق لم يكن كاملاً ، ولم يكن صحيحاً في بعض الأوقات، وذلك لأن هناك معارضين كان يهمهم أن لا تصح التجربة ، وكانت لهم القدرة بمواقفهم فخربوها وأنحرفوا بها. ولكنها الآن ، وبعد أن صارت رغبة غالبية الأمة، وتبناها أكثر من حزب ، يهم جماهير مسلمة مع اختلاف الاجتهاد ، فسوف ينجح التطبيق ، لأنه مسنود بجماهير مؤمنة . وفي الختام أقول للدكتور سامحه الله وعفا عنه ، إن ما رأيته بركة وتكريماً للكفار من متاع الدنيا ، ليس هو بتكريم ، إنما هو ابتلاء وفتنة لهم ولضعاف الإيمان . فالله يقول : [فأما الإنسان إذا ما ابتلاه<sup>(١)</sup> ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن ]<sup>(٢)</sup> كلا .

(١) وردت في الأصل ( إذا ابتلاه ) وهو خطأ .. المؤلف .

(٢) وردت في الأصل ( أهانني ) وهو خطأ .. المؤلف .

(٣) وردت في الأصل ( يجعلنا ) وهو خطأ .. المؤلف .

ويقول تعالى : [ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا <sup>(١)</sup> لمن  
يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون  
ولبيوتهم <sup>(٢)</sup> أبواباً وسريراً عليها يتكئون وزخرفاً وإن كل ذلك لما  
متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ] الآيات ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥  
من سور الزخرف . هدايا الله وإياك .

---

(١) وردت في الأصل (لبيوتهم) وهو خطأ .. المؤلف .

## فهرس

الصفحة	
٥	مقدمة
٩	وردة وخطط الأوراق
١٨	لشيخ الأزهر أن يحمد الله
٢٣	أبشر بطول العمر يا برتنا
٣٦	البرنامج السري للتحالف
٤٦	وختانه مسك
٥١	دعنا نرفع الكلفة فيما بيننا
٥٥	أحمدك يا رب
٦٢	نكون أو لانكون
٦٧	حياك الله
٧٤	اللهم رحمتك وغفرانك
٨٠	هل هذا معقول؟
٨٦	تحية إلى حسن الترابي
٩١	تعقيب لطيف على بيان سخي
٩٨	ثلاثية الشيخ صلاح
١٠٩	فتاوى آخر الزمان



١١٦	زواج المتعة بين السعد والريان
١١٩	كان درسا عظيماً يا أمام
١٢٣	ورب ضارة نافعة
١٢٩	أسئلة حائرة
١٣٢	مصرنا بخير
١٣٦	وأنصرنا في سيول
١٣٩	جن لمأ يركبك
١٤٣	العمر والصحة لا يسمحان
١٤٧	أصول المسائل
١٥٢	أنهم يركبون الزلمكة
١٥٦	الشباب والتطرف
١٧٣	الفتاة المصرية وقضية الدين
١٨٣	مجرد سؤال
١٨٩	ملحق رقم (١)
١٩٢	ملحق رقم (٢) الأفتتاحي
١٩٧	ملحق رقم (٣)
١٩٩	ملحق رقم (٤)

مؤلفات الدكتور

## فرج فودة

تنشرها وتوزعها دار ومطابع المستقبل

بالفجالة والأسكندرية

الطريق إلى الهاوية	الحقيقة الفائبة
الملعوب	حوار حول العلمانية
النذير	حوار في المهجر
نكون أو لانكون	قبل السقوط
الطائفية إلى أين؟	زواج المتعة
مع يونان لبببرزق	الإرهاب
وخليل عبد الكريم	شاهد على العصر

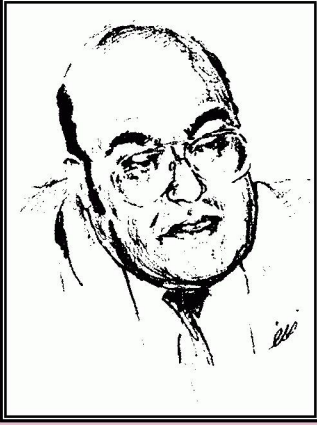
رقم الإيداع

٢٠٠٣ / ٢٠٢٩٦

الترقيم الدولي

911. 53 65.71.6





إن أي قضية عامة، تقف على مفترق طريقين. ولها في البداية أن تختار بينهما. أما الطريق الأول، فهو الاحتكام إلى ما يسود المجتمع حالياً. وهو مجتمع مدني، تحكمه

القوانين المدنية، ويسوده الدستور والقوانين والمواثيق الدولية، وعلى رأسها إعلان حقوق الإنسان.

أما الطريق الثاني، فهو الطريق الذي ينتصر له أنصار الدولة الدينية، وهو واقع يستهدفه هؤلاء الأنصار، ويرفضون من خلاله واقع المجتمع السائد، واطار المدنية الممثل في الدستور والقانون وحقوق الإنسان. ويعبرون عن هذا الرفض، بالاحتكام إلى بديل آخر، وهو القرآن والسنة، ومصادر الفقه الأخرى، مثل الإجماع والقياس وغيرهما.

**دار ومطابع المستقبل بالفجالة والأسكندرية**

**ومكتبة المعارف ببيروت**